روايات
مصرية للجيب



ملف المستقبل

67

أمطار الموت



١ ـــ انهيـــار ..

تحرَّك الرائد طيار (وائل سليمان) بخطوات سريعة ، قويَّة ، واثقة ، عَبْر ممرّ مبنى المراقبة الرئيسيّ ، فى مطار (أسوان) الحربى ، مرتديًا ذلك الزّى الفضيّ الرّقيق ، المميَّز لرجال القوّات الجوّية المصرية ، وحاملًا تحت إبطه خوذته الإليكترونية الخاصّة ، التى يزيّن مقدمتها رسم النّسر الشهير ، الذى يفرد جناحيه فى قوّة واعتداد ، وسط دائرة تحمل ألوان علَم (مصر) ، فى حين تعالى فى أنحاء الممر صوت مندوب الاختبارات الجوية ، ينبعث من الدوائر الصوتيّة المنتشرة فى أنحاء المكان ، قائلًا :

ــ إنذار .. ستتم الآن التجربة الأولى . للهليوكوبتر الذرّية الجديدة (القاهرة ــ واحد) ..

على جميع أقسام الطوارئ الاستعداد للدرجة القصوى .. سيتم إغلاق ممر الإقلاع .. أكرّر .. إنذار للجميع ..

عاد الصوت يكرّر النّداء أكثر من مرّة ، فى حين ارتسمت ابتسامة هادئة واثقة على شفتى الرائد (وائل) ، وهو يغادر المبنى ، ويتقدَّم عَبْر ممرّ الإقلاع ، نحو الهليوكوبتر الذرّية

الجديدة ، التى بدت شامخة مهيبة ، وهى تقبع فى مستقرها ، وحولها عدد من مهندسى الطيران والعلماء ، يجرون فحوصاتهم الأخيرة ، قبل إقلاعها لأوّل مرّة ..

واستقبل المهندس (حسين) ، رئيس قسم التصميمات الجوّية ، الرائد (وائل) ، وصافحه فى قوّة ، قبل أن يقول فى اهتمام :

ــ كنْ على حذر ، وأنت تقلع بـ(القاهرة ــ واحد) أيُّها الرائد ، فهى تختلف عن أية هليوكوبتر أخرى ، فلقد حرصنا فى تصميمها على أن نجعل منها أقوى هليوكوبتر حربيّة ، فى القرن الحادى والعشرين ، فهى مزوّدة بثلاثة محرّكات قويّة ، تعمل كلها بالطاقة الذريّة ، ومروحتها العُلويّة تدور بسرعة ألفى دوْرة فى الدقيقة الواحدة ، عند بدء الإقلاع ، وترتفع هذه النسبة إلى خمسة آلاف دوْرة فى الدقيقة ، حينما تنطلق ، وعشرة آلاف دورة فى الدقيقة ، فى المناورات السّريعة ، ويمكنها أن تبلغ سرعتها القصوى ، التى تساوى عشرين (ماخ)(*) ، فى ثلاثين ثانية ، وهى أوّل هليوكوبتر

(*) الـ (ماخ) : سرعة الصوت ، وهى تساوى ١٢٢٥ كيلومتر / ساعة تقريبًا .

يمكنها أن تنحرف ، إلى أى اتجاه ، بزاوية قائمة ، وتحمل ستة مدافع ليزريّة قويّة ، وجهاز شوشرة راداريّة فائق الحساسية والجودة ، و ..

قاطعه (وائل) فى هدوء :

ــ لقد درست كل ذلك بالتفصيل يا سيّدى .

عقد المهندس (حسين) حاجبيه ، وهو يغمغم :

ــ لا بأس .. إن مراجعة المعلومات لا تسىء إلى أحد .

ثم أشار إلى الهليوكوبتر ، مستطردًا فى حزم واهتمام :

ــ هيّا .. منذ هذه اللحظة أنت مسئول تمامًا عن (القاهرة ــ واحد) ، وكُنْ على حذر ، فلقد استغرق صنعها أسبوعين كاملين ، ولو شعرت بعجزك عن السّيطرة عليها ، اضغط زر القيادة الآليّة ، وسيعمل الكمبيوتر داخلها على إعادتها إلى هنا سالمة .

ابتسم (وائل) فى ثقة ، وهو يقول :

ــ اطمئن يا سيّدى .

أومأ المهندس (حسين) برأسه فى قلق ، وغمغم :

ــ حسنًا .. سنتابع التجربة من بُرْج المراقبة .

اتجه (وائل) نحو الهليوكوبتر ، وجلس أمام أجهزة قيادتها ، يراجعها فى سرعة ودقة وخبرة ، ثم ضمَّ قبضته ، ورفع

إبهامه وهو يمد يده أماما ، فى ابتسامة عريضة ، فأشار المهندس (حسين) إلى طاقم العلماء والمهندسين ، وأسرع الجميع يتبعونه إلى بُرج المراقبة ، فى حين ثبت (وائل) خوذته الإليكترونية فوق رأسه ، وأدار محركات الهليوكوبتر ..

وعلى الرغم من السرعة الفائقة لدوران مروحة (القاهرة — واحد) إلا أن صوتها بدا هادئا ، خافتا ، على عكس قلوب طاقم العلماء ، التى نبضت فى عنف ، وهم يتابعون إقلاع الهليوكوبتر ، من بُرج المراقبة ..

وارتفعت (القاهرة — واحد) فى هدوء ، ثم لم تلبث أن انطلقت فجأة فى سرعة ، فانطلقت خلفها مجموعة من الصواريخ الهيكلية ، وخيوط الليزر الضوئية ، واشتعل حماس (وائل) ، وهو يناور خيوط الليزر ، ويطلق أشعته على الصواريخ الهيكلية ، ويدمّرها فى مهارة وإحكام ، ثم يتفادى هجوم الصواريخ الأخرى بمناورات بارعة ، و (القاهرة — واحد) تطيعه فى يسر وليونة ، حتى لقد وجد نفسه يهتف فى حماس ، ليتردد صوته فى بُرج المراقبة :

— إنها رائعة !! رائعة بحق ..

ألتج هتافه صدور طاقم العلماء ، وتبادلوا التهنئة فى

سعادة وارتياح ، فى حين هتف المهندس (حسين) :

— نتيجة رائعة يا (وائل) !! حاول أن تبلغ سرعتك القصوى الآن ، وتصنع فى الهواء دائرة أفقية كاملة و ..

قاطعه أحد رجال بُرج المراقبة ، وهو يقول فى قلق :

— سيّدى .. هل ترى هذا الشىء ؟

بتر المهندس (حسين) عبارته ، ليسأله فى توتُّر :

— أى شىء ؟!

هزّ رجل المراقبة رأسه فى حَيرة ، وهو يشير إلى شاشته الراصدة ، مغمغما فى اضطراب :

— هذه الغيوم .. إنها تبدو لى عجيبة ، مثيرة للخوف .

عقد المهندس (حسين) حاجبيه ، وهو يتطلع إلى شاشة الرصد فى توتُّر ، وغمغم فى ارتياع :

— غيوم زرقاء ؟! .. ماذا يعنى هذا الشىء بحق السماء ؟!

أجابه رجل المراقبة فى توتُّر متصاعد :

— ليس لونها وحده المثير للقلق والخوف يا سيّدى .. إنه اتجاه حركتها أيضا ، فهى تسير بعكس اتجاه الرياح ، وبسرعة تفوق سرعة أية غيوم معروفة ، ثم إن حجمها بالغ الضخامة .

أثارت عبارته القلق فى نفوس الجميع ، فغمغم أحد العلماء فى توتُّر :

— كم تبعُد عنَّا ؟

قفز الارتياع إلى صوت رجل المراقبة ، وهو يهتف :

— كيلومترًا واحدًا و ..

قاطعه صوت أحد العلماء ، وهو يهتف فى ذُعْر :

— ها هى ذى ..

عبر الجميع بأبصارهم نافذة بُرج المراقبة الزجاجية الضخمة ، واتسعت عيونهم فى مزيج من الدهشة والقلق والخوف ، وهو يتطلَّعون إلى السُّحُب الزرقاء الداكنة ، التى تحجب ضوء الشمس ، وتغطى السماء فوق رءوسهم ، فى حين تعالى صوت (وائل) ، عبر أجهزة نقل الصوت ، وهو يهتف فى دهشة واستنكار :

— أية ظاهرة هذه ؟! .. ماذا يحدث هنا بحق السماء ؟

انتزع هتافه المهندس (حسين) من ذهوله ، فهتف فى ذُعْر :

— التجربة أُلْغِيَتْ يا (وائل) .. عُدْ بأقصَى سُرْعَة .. عد بالله عليك .

هتف (وائل) فى توتُّر :

— ماذا حدث ؟! .. ما هذه السُّحُب الزرقاء ؟

صاح المهندس (حسين) فى توتُّر بالغ :

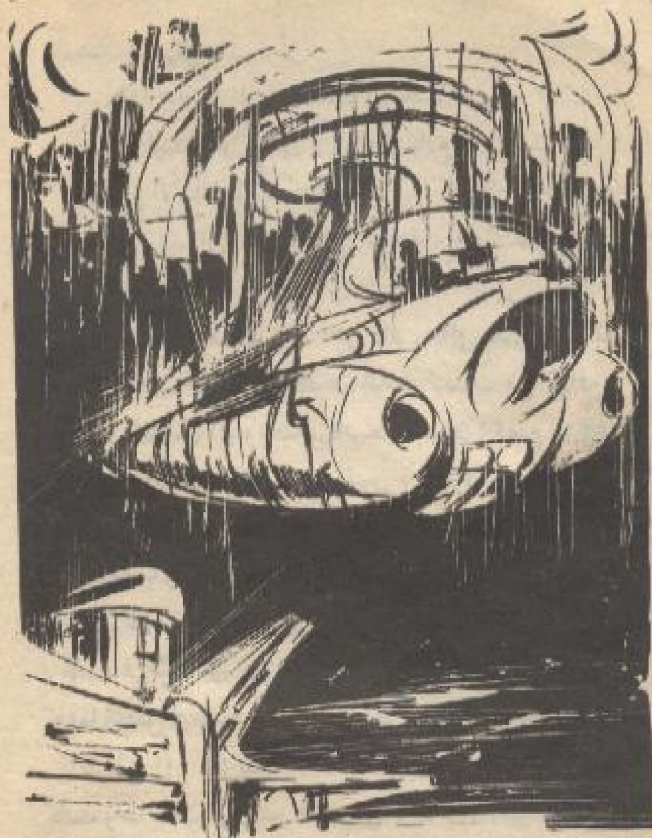
— دع الأسئلة لما بعدُ يا (وائل) .. اضغط زرَّ التشغيل الآلىّ ، أو عد إلىَّ هنا بأقصى سرعة ، حتى ندرس سرَّ هذه الـ ...

قطع صيحته فجأة برق أحمر دام ، تألَّق بصورة مُباغتة وسط السُّحُب الزرقاء ، وقصف الرعد كمئات من المدافع ، انطلقت كلها فى آن واحد ، فاتسعت عيون الجميع فى ذُعْر وذُهول ، وغمغم المهندس (حسين) فى ارتياع :

— يا إلهى !!..

وفجأة انهمرت من السُّحُب أمطار ذهبيَّة لامعة غزيرة ، وتعلَّقت عيون الجميع بالهليوكبتر (القاهرة — واحد) ، التى ترنَّحت فى قوَّة ، فى حين انتقل إليهم صوت (وائل) ، حاملًا كل ما اعتمل فى نفسه من ذُهول وذُعْر ، وتوتُّر ، وهو يهتف :

يا إلهى !!.. إن تلك الأمطار تخترق الهليوكوبتر ، كما لو كانت رصاصات تمرق عَبْر قالَب من الزُّبْد .. يا إلهى !!.. أهى القيامة ؟!



وفجأة انهمرت من السُّحُب أمطار ذهبيّة لامعة غزيرة .

صرخ المهندس (حسين) فى رُعْب :

ــ عد يا (وائل) !! عد !!

ارتفعت صرخة ألم ورعب ، عبر أجهزة نقل الصوت ، وارتجفت قلوب الجميع ، مع صوت (وائل) ، وهو يصيح :

ــ مستحيل .. لقد ذابت أجهزة التحكّم فى الهليوكوبتر .. تلك الأمطار اللعينة حطّمت كل شىء .. حتى أنا أصابتنى عشرات القطرات الذهبيّة .. إن جسدى ينزف بغزارة .. إننى ..

انتهت صيحته بصرخة ألم ، توقّف صوته بعدها تمامًا ، فى حين هوت الهليوكوبتر ، أو بقاياها ، والأمطار الذهبية تلتهمها فى شراهة ، والمهندس (حسين) يصرخ فى ذُعْر :

ــ كلّا .. مستحيل !! مستحيل !! أجبْ يا (وائل) .. أجبْ .

ولكن (القاهرة ــ واحد) ارتطمت بالأرض فى قوّة ، وانفجرت بدوىّ هائل ، وصرخ الجميع فى ذُعْر وارتياع ، وشعر المهندس (حسين) بآلام مُبرّحة فى ذراعه ، وبحمم تلتهم معطفه وسترته ولحم ظهره ، فصرخ وهو يتطلّع فى رعب إلى سقف بُرْج المراقبة :

— يا إلهى !! .. لقد احترقت تلك الأمطار المكان .

ارتفعت صرخات الرُّعب والفَزَع ، وتدافع الجميع ينشدون الفرار ، الأمطار الذهبيَّة تخترق سقف بُرْج المراقبة فى شراسة ووحشيَّة ، وتلتهم الأجساد بلا رحمة ..

ثم انهار بُرْج المراقبة .. وانهارت مبانى مطار (أسوان) الحربيّة ..

واستمرّ سقوط الأمطار الذهبيَّة لنصف ساعة كاملة ، ثم توقَّف انهمارها ، وانقشعت الغيوم الزرقاء ، وعادت الشمس تسطع على منطقة جرداء ، تسبح فى بركة من سائل ذهبىّ برّاق ، يتألّق ببريق يبهر الأبصار ، تحت أشعة الشمس ..

منطقة جرداء كانت منذ نصف ساعة فقط تحمل اسم (مطار أسوان الحربىّ) ..

* * *



٢ — الغُمـوض ..

رفع جندىّ الحراسة بندقيته الليزرية فى صرامة ، فى وجه السيَّارة الصاروخية ، التى توقَّفت على قيد متر واحد منه ، واتجه إليها فى خطوات سريعة ، وانحنى يتأمّل وجوه ركّابها الأربعة ، قبل أن يقول فى حزم :

— مَعْذِرَةً أيّها السادة ، هذه المنطقة محظورة ، ولا ريب أنكم قد لاحظتم أعمدة المجال الكهرومغناطيسى ، التى تحيط بها و ..

قاطعه قائد السيّارة فى صرامة :

— أنا الرائد (نور الدين محمود) ، من المخابرات العلميّة المصريّة ، ولدىّ تصريح خاصّ بدخول المنطقة .

اعتدل الجندىّ ، وأدّى التحية العسكرية فى احترام ، ثم قال :

— مَعْذِرَةً يا سيادة الرائد .. هل لى الاطلاع على أوراقك ؟

ناوله (نور) بطاقة معدنية مغناطيسية مُصْمَتَة ، وأسطوانة كمبيوتر خاصّة ، تناولهما الجندى ، وعاد أدْرَاجَهُ إلى كمبيوتر

صغير ، مثبت على أحد أعمدة حاجز الأمن ، ودسّ البطاقة والأسطوانة فى تجويف خاص أسفله ، وقرأ فى اهتمام تلك البيانات ، التى دوّنتها شاشة الكمبيوتر الخضراء ، ثم التقط البطاقة والأسطوانة ، وضغط عدة أزرار فى العمود ، وعاد إلى (نور) ، وهو يؤدى التحيّة العسكريّة ، ويعيد إليه البطاقة والأسطوانة ، قائلًا :

ــ شكرًا يا سيادة الرائد .. يمكنك المرورُ مع فريقك .

انطلق (نور) بسيّارته ، عبْر الفجوة التى صنعها الجندىّ فى حاجز الأمن ، وغمغمت (سلوى) ، التى تجلس إلى جواره ، فى خفوت :

ــ إذن فقد تحوّل (مطار أسوان الحربىّ) إلى منطقة محظورة !!

أجابها (نور) فى هدوء :

ــ لم يعد هناك مطار حربىّ يا (سلوى) ، طبقًا لما أخبرنى به القائد الأعلى .

سأله (محمود) ، من المقعد الخلفىّ ، فى اهتمام :

ــ أما زالت تلك البركة الذهبية هناك ؟

قبل أن يجيبه (نور) ، غمغم (رمزى) فى صوت مشدوه :

ــ ها هى ذى !!

خطف أبصارهم بريق البركة الذهبية ، التى بدت تحت أشعة الشمس ، كجزء من نجم هوى ، وهى تتألق بلمعان ذهبىّ أخّاذ ، مما حدا بـ (سلوى) إلى أن تهتف فى انبهار :

ــ يا للرّوْعة !!

مطّ (نور) شفتيه ، وهو يقول :

ــ أيّة رَوْعة يا (سلوى) ؟ .. لقد التهمت تلك البركة الوحشية مطارًا كاملًا ، وما يقرب من خمسين رجلًا ، بينهم عشرة من أفضل وأعظم علماء الطيران فى (مصر) ، وثلاثة من أبرع طيارينا الحربيّين .

تحوّل انبهار (سلوى) إلى رُعْب ملأ كيانها ، وهى تغمغم :

ــ يا إلهى !!

توقّف (نور) على بعد عدة أمتار من البركة الذهبية ، وغادر السيّارة مع رفاقه ، واتجه أربعتهم نحو عدد من الرجال يعملون فى انهماك ، على حافة البركة ، وصافح (نور) أحدهم فى حرارة ، وهو يقول :

ــ صباح الخير يا دكتور (حجازى) .. متى وصلت ؟

لوّح الدكتور (محمد حجازى) ، كبير الأطباء الشرعيين فى (مصر) ، بذراعه فى إحباط ، وهو يقول :

ــ منذ ساعة واحدة يا (نور) ، ولقد كادت تلك البركة اللعينة تورثنى الجنون

سأله (رمزى) فى اهتمام :

ــ لماذا يا دكتور (حجازى) ؟ .. هل عجزت عن تحليل تلك المادة ؟

هتف الدكتور (حجازى) فى سخط :

ــ لقد عجزنا حتى عن احتوائها يا (رمزى) .

سأله (محمود) فى دهشة :

ــ ماذا تعنى يا سيّدى ؟

زفر الدكتور (حجازى) زفرة ، حملت كل ما يجيش به صدره من توتّر وحنق وإحباط ، قبل أن يقول :

ــ إن هذه المادّة تملك قوّة إذابة مخيفة يا سادة .. إنها تذيب حتى الفولاذ ، والأوانى المعدّة لتحمّل أقوى أنواع الأحماض والمذيبات العضويّة ، ولم نعثر بعد على وعاء يمكننا حملها داخله ، لتحليلها .

غمغم (نور) :

ــ يا إلهى !!

ثم استطرد فى اهتمام :

ــ ألا يشير هذا إلى نوعيتها يا سيّدى ؟

مطّ الدكتور (حجازى) شفتيه ، وهزّ كتفيه فى ضيق ، قبل أن يجيب :

ــ لو أن الأمر يقتصر على ذلك ؛ لقتلت الأمر بحثا ، حتى أعثر على مادّة واحدة ، فى أى مرجع طبى ، أو كيميائى ، مهما بلغت ضآلة المعلومات عنها ، تتفق وتلك القدرة المذهلة على الإذابة ، ولكن ماذا عن تلك السحب الزرقاء التى أمطرتها ؟ وكيف حملتها فى السماء ؟ ..

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يغمغم فى قلق :

ــ إن حيرتك تزيد غموض الموقف يا دكتور (حجازى) ، فأنت ــ حسبما اتفق الجميع ــ أبرع طبيب شرعى ، وخبير سموم ، فى الشرق الأوسط كله ، وربّما فى العالم أجمع ، ولو أنك عجزت عن التوصّل إلى طبيعة تلك المادة فـ ..

قاطعه الدكتور (حجازى) فى حنق :

ــ إننى لم أعلن عجزى بعد يا (نور) .. إنها مسألة وقت فحسب .

تبادل أعضاء الفريق نظرات القلق والحيرة ، ثم سألت (سلوى) :

— ألم يجد علماء الطقس والأرصاد تفسيرًا لما حدث ؟

هزّ الدكتور (حجازى) رأسه نفيًا ، وأجاب :

— على العكس ، إن الأمر يثير حيرتهم ، بأكثر مما يفعل فلم يسبق لهم أبدًا أن رأوا ، أو درسوا ، أى شىء عن سُحُب زرقاء ، تُمطِرُ مادّة ذهبيّة مخيفة كهذه .

قال (نور) فى اهتمام :

— إن توقيت حدوث ذلك ، ومكانه ، يؤكدان أن الأمر يتعدّى كونه مجرّد ظاهرة طبيعية يا دكتور (حجازى) ، إلى حتمية كونه محاولة تخريب متعمَّدة ؛ لتدمير (القاهرة — واحد) ، ومطار (أسوان) الحربى ، وهذا يعنى أن تلك السحب ، التى تلقى أمطار الموت هذه ، عبارة عن سلاح حربى جديد ، تفتقت عنه أذهان أكثر أهل الأرض شرًا ، وهذا يهدّدنا جميعًا بالـ ..

توقّف عن إتمام عبارته فجأة ، حينما تألّقت ساعته التى تحيط بمعصمه الأيسر ، ببريق أخضر مفاجئ فعقد حاجبيه ، وغمغم فى صرامة :

— معذرةً يا رفاق .

ثم اتجه بخطوات سريعة نحو سيارته ، وأغلق أبوابها خلفه فى إحكام ، ثم ضغط زرًّا صغيرًا فى إطار ساعته الرقيقة ، فتوقّف ذلك البريق الأخضر على الفور ، وانبعث من سطح الساعة ما يشبه البخار الوردى ، لم يلبث أن تكثّف ؛ ليصنع صورة هولوجرافية ، ثلاثية الأبعاد ، لوجه القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، الذى قال على الفور :

— ادْعُ فريقك كله ؛ لمتابعة ما يحدث على شاشة التليفزيون المجسَّم الصغير ، فى سيارتك يا (نور) ، ثم عد للاتصال بى بعد ذلك .

تلاشى وجه القائد الأعلى على الفور ، فأسرع (نور) يدير جهاز التليفزيون المجسّم الصغير ، المثبّت فى لوحة قيادة سيارته ، وهو يهتف مناديًا رفاقه والدكتور (حجازى) ، الذين أسرعوا إليه ، وتسمّرت عيونهم على شاشة الجهاز ، التى حملت وجه رجل أصلع الرأس ، أشيب الفودين ، واضح الصرامة والحزم ، يجلس على مقعد وثير ، وهو يقول فى برود ، وبلهجة تحمل كل التهديد والوعيد :

— وما حدث فى مطار (أسوان) الحربى ، ليس سوى

إنذار بسيط لما يمكنني صنعه بالعالم كله ؛ إذا ما رفض الرضوخ لأوامري . إنني أطالب دول العالم مجتمعة بتحطيم كل أسلحتها .. كلها .. ولتعلن كل الدول إلغاء ميزانياتها العسكرية ، وتوجيهها إلى البحث العلمي ، والتنمية والغذاء ، وأحذرُ من أن أمطاري الذهبية يمكنها أن تبلغ أي مكان في العالم ، وأن تذيب أقوى مواد الأرض ، وأكثرها صلابة ، ولا يوجد سلاح واحد على وجه الأرض ، يمكنه أن يقيكم أمطار الموت الذهبية .. سأمهل العالم أسبوعًا واحدًا للتشاور والتفكير ، واتخاذ القرار ، وبعدها لا تلومنّ إلا أنفسكم ..

تلاشت صورة الرجل فورًا من شاشة التليفزيون ، الذي عاد يبث برامجه المجسّمة العادية ، فهتفت (سلوى) :

— كنت أتصوّر أنه سيطالب بزعامة الكرة الأرضية .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يغمغم :

— إن هذا أكثر منطقية مما يطالب به حقًّا يا (سلوى) .

وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد في لهجة صارمة :

— إن حُلم السّلام العالمي هذا لن يتحقق أبدا ، ما دام المطالب به يشنّ حربًا .. الدماء لا تأتي بالسلام يا رفاق .. لا تأتي به أبدا ..

* * *

عاود (نور) اتصاله بالقائد الأعلى ، بعد أن غادر الجميع السيّارة ، وتركوه وحده ، ولم تكد صورة القائد الأعلى تتكوّن ، حتى سأله (نور) في اهتمام :

— هل تتبّعتم موجة البثّ الدخيلة يا سيّدي ؟

أجابه القائد الأعلى في أسف :

— نعم يا (نور) ، ولكن هذا لم يؤدّ إلى أية نتائج إيجابية للأسف ، فقد تمّ بثّ هذه الرسالة ، التي سيطرت على كل وسائل البث في العالم ، من خلال قمر صناعيّ صغير ، تم إطلاقه على نحو بالغ السّرّيّة ، وهو يحمل دائرة بث فائقة القوّة ، ولم يكد ينتهي من بث هذه الرسالة ، التي أُذيعت في كل أنحاء العالم ، وبكل اللغات المعروفة ، حتى انفجر ، معلنا عن وجوده .

غمغم (نور) :

— يبدو أننا نتعامل مع شخص بالغ الذكاء والحذر .

أجابه القائد الأعلى :

— والخطورة أيضًا يا (نور) .

سأله (نور) في هدوء :

— ما المطلوب منّا أن نفعله يا سيّدي ؟

أجابه القائد الأعلى فى حزم :

ــ العثور على هذا الرجل يا (نور) ، وتحطيم سيطرته على العالم ، قبل مضى المهلة التى منحها ، وكشف سرّ أمطار الموت الذهبيّة .

صمت (نور) لحظة ، ثم أجاب فى حزم وقوّة :

ــ سنفعل يا سيدى .. سنفعل بإذن الله (سبحانه وتعالى) .. سنمحو خطر هذه الأمطار الذهبيّة .. سنقهر أمطار الموت ..

* * *



٣ ــ البحث ..

« لست أفهم يا (نور) .. حقيقة لست أفهم » .

هتفت (سلوى) بهذه العبارة فى مزيج من الدهشة والاستنكار ، ثم أردفت فى انفعال :

ــ إن كل ما يطالب به هذا الرجل هو السلام ، وتحطيم أسلحة الدمار التى تمقتها ، واتجاه العالم نحو التنمية والتقدم ، فلماذا تحاول تحطيمه ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ــ قد يبدو هذا المطلب رائعًا ، مثيرًا للأحلام الورديّة يا (سلوى) ، ولكنه فى الحقيقة مبدأ هدّام .

هتفت فى حيرة :

ــ كيف ؟!

تنهّد (نور) قبل أن يجيب :

ــ أوّلًا : لأن التخلص من كل الأسلحة سيجعل هذا الرجل المجهول هو صاحب السلاح الوحيد ، وأعنى أمطار الموت ، وثانيًا : ماذا سيفعل العالم ، إذا ما تخلّص من كل أسلحته ، ثم واجه غزوًا من الفضاء الخارجى ؟.. أيستسلم صاغرًا ، أم يقاتل بالعصى والحجارة ؟

غمغمت (سلوى) فى خفوت :

ـ لم يخطر هذا ببالى قط !

تدخل (محمود) فى الحديث ، ليسأل (نور) فى اهتمام :

ـ هل لديك خطة معينة للعمل يا (نور) ؟

هزّ (نور) رأسه نفيا ، وهو يقول فى ضيق :

ـ ليس بعد يا (محمود) ، فالمعلومات التى لدينا لا تكفى لبدء البحث ؛ إذ أننا لا نعلم شيئا عن جنسية الرجل ، أو مقره ، أو حتى طبيعة تلك المادة الذهبية المجهولة ، ولست أدرى من أين يمكننا أن نبدأ البحث .

ابتسم (رمزى) ، وهو يقول فى هدوء :

ـ أعتقد أنه دورى هذه المرة يا (نور) .

التفت إليه الجميع فى تساؤل ، فاتسعت ابتسامته ، وهو يردف :

ـ أعنى أنه دور الطب النفسى .

واختفت ابتسامته مع جديته ، وهو يستطرد فى اهتمام :

ـ المعلومة الوحيدة التى نملكها عن ذلك الرجل ، هى رسالته المسجلة ، التى حرص على ترجمتها إلى كل اللغات ، على أن تظل جنسيته مجهولة للجميع ، ولكن رسالته نفسها

تكشف الكثير عنه ، خاصة حينما يستمع إليها ويطالعها خبير بالطب النفسى .

وتضاعفت نبرة الاهتمام والجدية فى صوته ، وهو يتابع :

ـ لقد كشفت الرسالة أنه رجل مغرور ، مصاب بمزيج من النرجسية ، والشعور بالاضطهاد والعظمة ، ومثل هذا الرجل يقضى عمره ـ عادة ـ فى البحث عن وسيلة تمنحه القوة ، والتفوق على الآخرين ، وهو يكون ـ فى معظم الأحيان ـ ضئيل الجسد ، نشأ فى أسرة فقيرة ، ولكنه ذكى .. بل عبقرى ، وحينما يبلغ ما يتصور أنه القوة المطلقة ، فإنه يحب التباهى بما بلغه ، ويرفض أن يحط الآخرون من شأن قوته ، حتى ولو أراق فى سبيل ذلك نهرا من الدماء ، ليبرهن على قوته .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى تشكك :

ـ هل تظن أن المهلة ستكفى للبحث عن رجل تنطبق عليه هذه الصفات ، وسط سكان العالم أجمع ؟

تردد (رمزى) لحظة ، ثم غمغم فى صوت خافت :

ـ هناك وسيلة أكثر سرعة ، وأكثر خطورة أيضا يا (نور) .



وقف ذلك الرجل الأصلع ، الأشيب الفودين ، عاقدًا كفيه خلف ظهره ، يتطلّع في هدوء إلى عدد كبير من شاشات الرّصد .

سأله (نور) في شغف :

— ما هي يا (رمزى) ؟

تردَّد (رمزى) لحظة أخرى ، ثم أجاب :

— إنها وسيلة قديمة يا (نور) ، فحينما يعجز الصيادون عن العثور على جحر الثعلب ، فإنهم يعمدون إلى استثارته للخروج منه ، ثم يبدءون مطاردته ، حتى يوصلهم بنفسه إلى جحره .

غمغم (نور) :

— هل تعنى ... ؟

قاطعه (رمزى) في هدوء :

— بالضبط يا (نور) .. إننا سنثير غضب صانع أمطار الموت ، حتى يبرز أنيابه و ..

أكمل (نور) في حزم :

— ونقتلعها من جذورها ..

* * *

على عمق عشرين مترًا من سطح الأرض ، في مكان ما ، وقف ذلك الرجل الأصلع ، الأشيب الفودين ، عاقدًا كفيه خلف ظهره ، يتطلّع في هدوء إلى عدد كبير من شاشات الرّصد ، تنقل إليه ما يدور في معظم عواصم العالم الكبرى .. وسط حجرة فسيحة ، ينطق كل ركن فيها عن الثراء .. والتقدّم التكنولوجي المتفوّق ..

وفى هدوء تسلّل إلى الحجرة شاب مفتول العضلات ، يرتدى زيًا من قطعة واحدة ، أرجوانى اللون ، ويحمل على صدره شعارًا عجيبًا ، هو دائرة ذهبية برّاقة ، تتوسّطها سحابة زرقاء قاتمة ، وبدون أن يلتفت إليه الأصلع ، سأله فى هدوء :

ـ هل من جديد يا (جوان) ؟

أجابه (جوان) فى صوت ثابت ، يحمل فى طياته نبرات احترام عميقة :

ـ دول العالم أجمع تناقش إنذارك يا (سيّد العصر) ، ولقد لاقى مطلبك تأييدًا شعبيًا ، ولكن الحكومات تخشى تنفيذه ، وبخاصة الحكومات الأمريكية والسوفيتية ..

مطّ الأصلع شفتيه ، وغمغم فى هدوء :

ـ يبدو أنهما تحتاجان إلى درس آخر .

أومأ الشاب برأسه موافقًا فى رهبة ، ثم عاد يقول :

ـ أمّا فى (مصر) ، فلقد أعلن رائد بالمخابرات العلمية هناك ، أنك تعدّ مجرمًا ، وأنه سيعمل جاهدًا على كشفك ، وتسليمك للعدالة .

عقد الأصلع حاجبيه ، وذهب هدوءه ، وهو يقول فى حدّة :

ـ من ذلك الغبى المغرور ؟

غمغم الشاب :

ـ الرائد (نور الدين محمود) .

بدا الاهتمام على وجه الأصلع ، وهو يغمغم بدوره :

ـ (نور الدين) ؟!

ثم التفت إلى جهاز كمبيوتر كبير ، وقال فى لهجة آمرة :

ـ أعطنى ما لديك عن رائد بالمخابرات العلمية المصرية ، يُدعى (نور الدين محمود) .

تألّقت شاشة الكمبيوتر ببريق فيروزى لحظة ، ثم تراصّت الكلمات عليها ، فى نفس الوقت الذى انبعث فيه صوت الكمبيوتر المعدنى ، يقول :

ـ الرائد (نور الدين محمود) .. فى أواخر العشرينات من عمره ، أو أوائل الثلاثينات .. عبقرى فى حل الألغاز العلمية الغامضة .. مسجّل لدى جهاز الأمن العالمى ، التابع للأمم المتحدة .. يعمل مع فريق مكوّن من زوجته ، خبيرة الاتصالات والتتبع ، والدكتور (رمزى) ، خبير الطب النفسى ، والمهندس (محمود) ، إخصائى علم الأشعة .. واجه مع فريقه ما يقرب من خمسين لغزًا علميًا .. نسبة الفشل تساوى (صفرًا) ..

ازداد انعقاد حاجبي الأصلع ، وهو يغمغم في حنق :

ـ إذن فنحن نواجه عبقريًا وفريقه .

قال (جوان) في حماس :

ـ ولكننا لا نخشاهم يا (سيِّد العصر) .. إننا ..

رفع (سيِّد العصر) كفه في صرامة ، ليوقف (جوان) عن الاستطراد ، وهو يقول في حزم :

ـ لا تستخِفّ بخصمك أبدًا يا (جوان) .. إن رجلًا مثل هذا يمكنه أن يثير البلبلة ، خاصةً مع تاريخه الحافل بالبطولات والانتصارات .

غمغم (جوان) في ضيق :

ـ ولكنهم أربعة أشخاص فحسب يا (سيِّد العصر) .

ارتسمت ابتسامة شرسة ساخرة ، على شفتيْ (سيِّد العصر) ، وهو يقول :

ـ فلنختصرهم إذن إلى (صفر) .

ثم استطرد في صرامة مفاجئة :

ـ كم رجلًا لدينا في (مصر) ؟

أجابه (جوان) في قلق :

ـ اثنان .. ولكن ..

قاطعه في حزم :

ـ سيكون عليهما أن يثبتا جدارتهما ، وينفِّذا مهمتهما الأولى .

وعادت تلك الابتسامة الشرسة الساخرة إلى شفتيه ، وهو يستطرد في صرامة :

ـ سيكون عليهما تحطيم (نور الدين) هذا .. وفريقه كله .

* * *



٤ — تكنولوجيا القتل ..

تطلعت (مشيرة محفوظ) ، صحفية (أنباء الڤيديو) الشهيرة ، إلى زوجها (رمزى)(*) ، وهو يرتدى ثيابه ، استعدادًا للخروج ، وعقدت حاجبيها ، وهى تسأله فى حنق واضح :

— أما زلت تصرّ على معاملتى كالغرباء ؟

ابتسم ، وهو يغمغم فى حنان :

— من وضع فى عقلك هذه الفكرة يا زوجتى العزيزة ؟

هتفت فى سخط :

— أنت يا (رمزى) .. يبدو أنك قد نسيت أننى صحفية ، وأنه ليس من السهل أن أخطئ فهم ما يحدث حولى ، على الرغم من تلك السرّية البالغة ، التى تحيط بها تحركاتك منذ أوّل أمس .

تنهّد ، وهو يقول :

— إنها طبيعة عملى يا (مشيرة) .

(*) راجع قصة (العدوّ الخفى) .. المغامرة رقم (٥٢) .

صاحت فى غضب :

— ولكن هذا يعنى أنك لا تثق فى قدرتى على كتمان الأسرار ، أو استيعاب خطورة الأمور .

حاول أن يغمغم بعبارة ما ، ولكنها استطردت فى حدّة :

— سأخبرك أنا عمّا تحاول أن تخفيه .. لقد كلّفت المخابرات العلمية (نور) البحث عن الرجل ، الذى أطلق أمطار الموت ، وأنت تعمل مع الفريق ، فى محاولة للتوصّل إليه ، قبل مضى المهلة الممنوحة .

كان (رمزى) يعلم جيّدًا ضرورة الحفاظ على سرّية العمل ، إلّا أن خبرته بالطب النفسى ، جعلته يجيب فى هدوء :

— هذا صحيح .

كانت إجابته مفاجأة لها ، فعقدت لسانها لحظة ، وهو يتطلع فى دهشة ، ثم لم تلبث أن غمغمت فى خفوت :

— وهل ذلك التحدى العلنى من (نور) للرجل ، هو جزء من الخطة ؟

أجابها بإيماءة من رأسه ، فقلبت كفيها فى حيرة ، وهى تغمغم فى اضطراب :

— ولكنها خطوة بالغة الخطورة يا (رمزى) .. هل تعلم ما الذى يمكن أن يفعله ذلك الرجل ؟

أجابها في هدوء أدهشها :

ــ سيحاول قتل (نور) .

اتسعت عيناها في ذعر ، وهتفت :

ــ ما خطتكم إذن ؟

ابتسم (رمزى) في هدوء ، وهو يقول :

ــ معذرة يا زوجتي العزيزة ، لا يمكنني أن أشرح لك ذلك ، فلقد أقسمت على حفظ سرّ كل ما يتعلق بخطط العمل ، ويكفي أن تعلمي أن القتل ــ في عصرنا هذا ــ يعتمد أيضًا على التكنولوجيا ، وما دام الأمر كذلك ، فهي حرب تكنولوجية ، ولنر من سيفوز فيها بالنصر .. صاحب أمطار الموت ، أم (نور) وفريقه ؟!..

* * *

« لقد وصلوا .. » .

نطقت (سلوى) هذه العبارة في صوت خافت ، ولهجة تموج بالانفعال ، وهي تتطلع إلى شاشة جهاز صغير ، فاقترب منها (نور) في سرعة ، وسألها في اهتمام :

ــ كم رجلًا ، وماذا يحاولون أن يفعلوا ؟

أجابه (محمود) ، وهو يضغط أزرار جهازه ، ويقرأ الخطوط والرسوم المدوّنة على شاشته :

ــ إنهما رجلان يا (نور) .. لقد استغلّا الظلام ، ليتسللا إلى هنا ، ولكن جهاز الفحص الإشعاعي نقل حرارة جسديهما إلى شاشته ، وهما يتحرّكان الآن نحو سيارتك .

غمغمت (سلوى) :

ــ أحدهما يحمل جهاز تردّد صوتيّ ، لقد التقط جهازي ذبذبته .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ــ رائع .. لقد هزمتهما التكنولوجيا ، التي يحاولان استخدامها للتخلّص منّي .

ثم مال نحو (محمود) ، وسأله في اهتمام :

ــ أما زالا إلى جوار السيّارة ؟

أجابه (محمود) في قلق :

ــ إنهما لم يبتعدا عنها بعد .. ماذا تنوي أن تفعل ؟

ابتسم (نور) ، وهو يلوّح بقبضته ، قائلًا :

ــ سأكتفي بهذا القدر من التكنولوجيا يا عزيزي (محمود) ، وسأستخدم قبضتي في التعامل مع هذين الوغدين .

هتف (محمود) فى ذعر :

ـــ ولكن كلًّا منهما يحمل مسدسًا ليزريًا يا (نور) .

أطلق (نور) ضحكة قصيرة ، قبل أن يغمغم :

ـــ قلت لك إننى سأكتفى بهذا القدر من التكنولوجيا يا (محمود) .

وقبل أن ينبس (محمود) أو (سلوى) بحرف واحد ، كان قد غادر المنزل فى خفة الفهد ..

* * *

تحرّك رجلا (سيّد العصر) فى حذر ، وهما يتجهان إلى سيّارة (نور) الصاروخية ، وقال أحدهما للآخر فى توتّر :

ـــ هل تظن أن الخطة ستفلح ؟.. أنت تعلم أن (سيّد العصر) لا يغفر الأخطاء أبدًا .

أجابه زميله فى هدوء :

ـــ اطمئن .. كل ما سنفعله هو أن نضيف ذلك الجهاز الصغير إلى محرّك السّيارة الذرى ، وبعدها ستترك التكنولوجيا تقوم بكل العمل .

عاد الأوّل يغمغم فى توتّر :

ـــ هل اختبرت الجهاز ؟

هتف الثانى فى صرامة :

ـــ قلت لك اطمئن .

ثم أردف فى هدوء :

ـــ ما إن يدير ذلك الرائد الأحمق سيارته ، حتى يبدأ الجهاز فى العمل ، فيرسل ذبذبة فوق صوتية ، تتصاعد فى سرعة ، فيفقده السيطرة على السيّارة ، وتحطّم طبلتى أذنيه فى الوقت ذاته .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يستطرد :

ـــ هل يمكنك أن تتصوّر ما سيحدث لرجل ، تحطّمت طبلتا أذنيه ، وفقد السيطرة على سيارة صاروخية ، تنطلق بسرعة ثلثمائة كيلومتر فى الساعة ، على الأقل ؟

ارتجف كلاهما ، حينما سمعا صوت (نور) يأتى من خلفهما ، وهو يقول فى هدوء ساخر :

ـــ أظنه سيكون مشهدًا سخيفًا .

التفت الرجلان إلى مصدر الصوت فى سرعة ، وانتزع كل منهما مسدّسه الليزرى ، وأطلقا أشعتهما نحو (نور) بلا تردّد ..

* * *

مرق خيطا الليزر ، القاتلان عبر ظلام الليل ، وانحنى (نور) في سرعة البرق ؛ ليتفادى أحدهما ، في حين عبر الآخر على قيد سنتيمترين من كتفه اليسرى ، وقبل أن يعاود الرجلان الكرة ، انطلقت قبضة (نور) تعمل في كفاءة ..

وهوت قبضة (نور) على فك الأول بلكمة ساحقة ، ألقته إلى الخلف ، ليرتطم بالسيارة ، ثم يسقط أرضا ، على حين مال (نور) جانبا ، واندفع إلى الأمام ، ليلكم الثاني في معدته ، ثم أعقب ذلك بلكمة أخرى على فكه ، ألحقته بزميله .

ولكن الرجلين كانا يتمتعان بلياقة بدنية لا بأس بها ، فقد قفزا واقفين ، وصوّبا مسدسيهما مرّة أخرى إلى (نور) ، الذي تحرّك أيضا في سرعة مناسبة ، فركل مسدّس الأوّل في مهارة ، وانحنى متفاديًا دفقة الليزر ، التي انطلقت من مسدّس الثاني ، ثم انقضّ عليه ، وكال له ثلاث لكمات سريعة متعاقبة ، في فكه وأنفه وعنقه ، أصدر الرجل بعدها خوارًا أشبه بخوار ثور ذبيح ، ثم هوى أرضًا فاقد الوعي ..

واستدار (نور) يواجه الآخر ، ولكنه توقّف فجأة ، وهو يحدّق في قنينة صغيرة ، من مادة أشبه بالزجاج ، تحوي سائلا ذهبيّ اللون ، يمسك بها الرجل في توتّر ، وهو يلهث قائلا في شراسة :

— لا فائدة أيها الرائد .. لقد أصدر (سيّد العصر) أوامره بقتلك ، ولن تجد مكانًا واحدًا في الأرض كلها ينقذك من ذلك .

أجابه (نور) في صرامة :

— هل تفضّل الاستسلام بلا قيد أو شرط ، أو التسليم بأنف محطّم ، وأسنان مفقودة ؟

أطلق الرجل ضحكة ساخرة قصيرة شرسة ، ورفع القنينة أمام وجهه ، وهو يقول :

— حاول أن تفعل أيها الرائد ، وأعدك بأن تتذوّق آلامًا لم تتصوّر وجود مثلها من قبل .. هل تعلم أي سائل هذا ؟ .. إنه نفس الأمطار الذهبية ، التي أبادت مطاركم الحربي في أسوان ، في نصف ساعة فقط .. إنها أمطار الموت ، التي تلتهم الأجساد والأجسام في لحظات ، بلا رحمة أو شفقة .

تعلّقت عينا (نور) بالقنينة الذهبيّة ، وهو يقول في حزم :

— سيسعدني أن أحصل عليها ، بعد أن أحطّم أنفك أيها الوغد .

احتقن وجه الرجل غضبًا ، وصرخ في وحشية :

— إلى اللقاء في الجحيم إذن أيها المغرور .

وبكل الغضب والشراسة والثورة ، ألقى القنينة في وجه (نور) ..

ألقى أمطار الموت الذهبية ..

* * *

٥ ـ الخطوة الأولى ..

لم يشعر (نور) بأدنى قدر من الخوف ، حينما ألقى الرجل تلك القنينة فى وجهه ..

كل ما شعر به فى تلك اللحظة ، وما ملأ مشاعره ، هو ضرورة الحصول على تلك القنينة ..

وبدلًا من أن يتفادى (نور) سائل الموت الذهبى ، قفز نحوه فى إصرار ، والتقط القنينة ، قبل أن تتحطم على جسده ..

التقطها بأصابع ماهرة ، رقيقة ، خبيرة ، وضمَّ عليها قبضته فى حذر ، قبل أن يهبط على قدميه ..

واتسعت عينا الرجل فى رعب ، حينما رأى القنينة فى قبضة (نور) ، وصرخ فى وحشية :

ـ كلّا .. اتركها .. اتركها قبل أن أحوّلك إلى لحم مفرى .

كان من الواضح أن الرجل لن يتردد فى التضحية بحياته ، مقابل ألا يحصل (نور) على القنينة ، فقد تحوّل إلى وحش كاسر ، وهو ينقضّ عليه ، ويحاول استعادتها من قبضته بأى ثمن ..

وتفادى (نور) لكمة الرجل الأولى فى صعوبة ، وهو يحاول المحافظة على القنينة ، ولكن اللكمة الثانية أصابته فى صدره ، وألقته أرضًا ، فى عنف ..

وحاول (نور) أن ينهض ، ولكن الرجل انقضّ عليه فى مزيد من الوحشية والشراسة ، وأمسك معصم اليد التى يمسك بها (نور) القنينة ، بكلتا قبضتيه ، وهو يصرخ :

ـ لن تحصل عليها .. لن تحصل عليها أبدًا .

ضمّ (نور) قبضته الأخرى ، وانهال بها على وجه الرجل وجسده فى قوة ، ولكن الرجل لم يتخل عن معصم (نور) أبدًا ، على الرغم من قوة لكمات هذا الأخير ..

وفى محاولة أخيرة ثنى (نور) ركبتيه ، وضم ساقيه إلى صدره ، ثم دفع قدميه فى صدر الرجل بكل ما يملك من قوة ..

وأفلحت المحاولة ، فقد سقط الرجل على ظهره ، بعيدًا عن (نور) ، ولكن سقطته أوقعته إلى جوار مسدسه الليزرى ، فاختطفه فى حركة سريعة ، وقفز واقفًا ، وهو يصرخ :

ـ لن تحصل عليها أبدًا .

وقبل أن يتحرك (نور) مبتعدًا ، أطلق الرجل أشعة مسدسه الليزرى .

وأصاب هدفه ..

* * *

من حسن حظ (نور) ، أو من رحمة القدر به ، أنه قد أضطرّ لترك القنينة ، حينما دفع خصمه ، بكل ما يملك من قوة ، بعيدًا عنه ، فلو لم يفعل لأضيف اسمه في تلك الليلة ، إلى قائمة ضحايا أمطار الموت ..

فأشعة مسدس الرجل لم تكن موجّهة إلى (نور) ..

لقد أطلقها نحو القنينة ..

ولقد أصاب هدفه ، وحطّم القنينة ، وتناثر منها ذلك الرذاذ الذهبيّ القاتل ، الذى أصاب سيّارة (نور) ، واخترقها فى سلاسة وبساطة ، كما لو كانت صورة هولوجرافية وهمية ..

ورأى (نور) السائل الذهبيّ المنسكب ، وهو يلتهم إطارات سيارته فى شراهة ، ويسيل نحوه ، فقفز مبتعدًا ، وهو يغمغم فى دهشة :

ـــ يا إلهى !!.. يا إلهى !!

وانتزعه من دهشته صوت الرجل ، وهو يهتف فى شراسة :

ـــ ستلحق بها أيها الرائد .. ستلحق بها .

التفت (نور) إلى الرجل ، ورآه يصوّب مسدسه الليزريّ إليه فى غضب وصرامة ..

وفى نفس اللحظة التى أطلق فيها الرجل أشعة مسدسه ، قفز (نور) جانبًا ، وتفادى الأشعة القاتلة ، ثم انقضّ على

خصمه ، قبل أن يطلق أشعته مرّةً أخرى ، واستجمع كل غضبه ، وقوّته ، وصلابته فى قبضته ، وكال بها إلى الرجل لكمة كالقنبلة ، أسقطته فاقد الوعى على الفور ..

ووقف (نور) يحدّق فى الرجل الفاقد الوعى لحظة ، ثم أسرع إلى القنينة المكسورة ، وتوقّف ليتأمّل تلك الثقوب التى أحدثها رذاذ السائل الذهبى ، فى جسم سيّارته الصلب ، ثم زفر فى حنق ، وغمغم :

ـــ لقد خسرنا فرصة ذهبيّة .

وفجأة تألّق فى ذهنه خاطر ما ، فأدار عينيه إلى بقايا القنينة المكسورة فى لهفة ، وهتف فى ارتياح :

ـــ يا إلهى !!.. ربّما لم نفقدها بعد .. ربّما كانت هذه خطوة ناجحة .. خطوتنا الأولى نحو النصر .

* * *

أشارت عقارب الساعة إلى الواحدة والنصف وخمس دقائق صباحًا ، حينما توقّفت سيّارة الدكتور (محمد حجازى) أمام منزل (نور) ، وقفز هو منها فى خفة واضحة ، وهو يسأل (نور) ، الذى ينتظره أمام منزله :

ـــ ماذا حدث يا (نور) ؟



وتوقف ليتأمل تلك الثقوب التى أحدثها رذاذ السائل الذهبى ، فى جسم سيارته الصلبة .

أجابه (نور) فى اهتمام ، وهو يقوده إلى سيارته :

ـ مفاجأة يا دكتور (حجازى) .

تسمّرت عينا الدكتور (حجازى) ، وهو يحدق فى السائل الذهبى ، الذى التهم إطارات سيارة (نور) تماما . وما زال يواصل التهام السيارة كلها ، وهتف فى دهشة :

ـ كيف وصل هذا الشىء إلى هنا ؟

قصّ عليه (نور) ما حدث باختصار ، فعاد الدكتور (حجازى) يهتف :

ـ هل غامرت بحياتك للحصول على ذلك السائل اللعين ؟! .. ولكننا نملك بركة كاملة منه فى (أسوان) !!

أجابه (نور) فى حماس :

ـ ليس من أجل السائل يا سيدى ، ولكن من أجل القنينة .. ألا تدرك يا سيدى أنها الشىء الوحيد ، الذى نجح فى حمل سائل الموت الذهبى ؟.. إنها خطوتنا الأولى نحو معرفة طبيعة ذلك الشىء ، وابتكار سلاح مضاد له !

اتسعت عينا الدكتور (حجازى) ، وهو يهتف فى انبهار :

ـ يا إلهى !!.. هذا صحيح يا ولدى .

ثم استدرك فى جزع :

— ولكن .. ألم تقل إنها قد تحطمت ؟

هتف (نور) فى حماس :

— ليس تمامًا يا سيّدى ، لقد بقى منها ما يكفى للفحص والتحليل ، ولو نجحنا فى معرفة تلك المادّة ، التى صنعت منها القنبلة ، فسنصنع مثلها ، وسيمكننا تحليل أمطار الموت ، وصنع السلاح الذى يدرأ عنا مخاطرها .

انتقل حماسه إلى الدكتور (حجازى) ، الذى هتف :

— بالطبع يا (نور) .. بالطبع .

ثم لم يلبث القلق أن عاوده ، فعاد يقول فى توتّر :

— وهل ستكفى الأيام الخمسة الباقية لكل ذلك يا (نور) ؟

صمت (نور) لحظة ، ثم أجابه فى صرامة :

— علينا أن نبذل أقصى جهدنا يا سيّدى ، وسأعمل مع فريقى فى الوقت ذاته ، لمعالجة الأمر من الناحية الأخرى .

عقد الدكتور (حجازى) حاجبيه ، وهو يسأله فى حيرة :

— أية ناحية ؟

صمت (نور) لحظة أخرى ، قبل أن يجيب فى حزم :

— سنبحث عن ذلك الوغد ، الذى يطلق على نفسه اسم (سيّد العصر) ..

* * *

كانت مفاجأة للرجلين ، اللذين هاجما (نور) ، أن يستعيدا وعيهما ، فيجد كل منهما نفسه ممدّدًا فوق منضدة عمليات ، ومقيّدًا فى إحكام .. ولقد تولّاهما الذعر ، فهتف أحدهما فى توتّر :

— لست أعلم شيئًا .. لقد كنت أنفّذ الأوامر فحسب .

أمّا الآخر ، فقد زمجر فى غضب :

— لن تحصلوا منّى على حرف واحد .

ابتسم (محمود) و (سلوى) فى هدوء ، وتبادل (نور) نظرة ساخرة مع (رمزى) ، الذى أخذ يملأ محقنه بسائل شفاف ، يميل إلى الصفرة ، وهو يقول فى هدوء :

— خطأ يا صديقى .. إنك ستدلى بما لديك بكل هدوء ، ودون أن تهمل حرفًا واحدًا .

زمجر الرجل قائلًا :

— أتحدّاك .

ابتسم (رمزى) ، وقال فى هدوء ، وهو يكشف ذراع الرجل :

ـ هل تعلم ما هذه المادة ، التى سأحقنك بها الآن ؟.. إنها (بنتوثال الصوديوم) .. هل تعلم ماذا يسمُّون هذه المادة ؟.. إنهم يطلقون عليها اسم (مصل الحقيقة) ، لأنها تؤثر على المخ ، وتلغى القدرة على الانفعال والكذب تمامًا ، ويجد ـ من يُحقن بها ـ نفسه مضطرًا لذكر الحقائق .. الحقائق فقط .

قال هذا ، ودفع إبرة الحقن فى الوريد العضدى للرجل ، ودفع (مصل الحقيقة) فى عروقه ، وتأوَّه الرجل ، وصاح فى مزيج من الذعر والثورة :

ـ هذا يخالف القانون .. يخالفه تمامًا .

سأله (نور) فى حدَّة :

ـ عن أى قانون تتحدث يا رجل ؟.. أعن القانون الذى دفعك لمحاولة قتلى أمس ؟.. أم عن ذلك الذى يتبعه زعيمك (سيِّد العصر) هذا ، للسيطرة على العالم أجمع ؟

حاول الرجل أن يعترض ، إلا أن جفنيه تثاقلا ، وتهاويا ، على الرغم من محاولته لمقاومة حالة اللاوعى ، واللايقظة ، التى أحاطت بعقله ، فى حين التفت (رمزى) إلى (نور) ، وقال فى هدوء :

ـ يبدو أن صديقنا قد تخلى عن إصراره ، وأنه سيجيب عن كل أسئلتنا بلا تردُّد .

أسرع (نور) يسأل الرجل فى اهتمام :

ـ لحساب مَنْ تعمل ؟

أجابه الرجل فى استسلام :

ـ لحساب (سيد العصر) .

سأله (نور) فى اهتمام متزايد :

ـ من هو (سيِّد العصر) هذا ؟.. أين يختفى ؟

بدا وكأن الرجل يعانى آلامًا مجهولة ، وهو يجيب فى صعوبة :

ـ لا أحد يعلم من هو (سيِّد العصر) .. ولكنه رجل خارق .. رجل لا مثيل له بين أهل الأرض جميعًا ..

هتف (نور) فى توتُّر :

ـ قل لى إذن أين يختفى ؟

تضاعفت آلام الرجل ، وأخذ يتلوَّى فى شكل بشع ، فى حين اتسعت عينا زميله رُعبًا ، وهو يهتف :

ـ الرحمة !! الرحمة يا (سيِّد العصر) !!

عاد (نور) يهتف فى صرامة :

ـ أين يختبئ ؟.. أين وكر ذلك الشيطان ؟
بدا الرجل وكأنه يعاني آلامًا مبرِّحة ، وهو يجيب في صعوبة :

ـ تحت الأرض .. في تلك الجزيرة .. هناك .. في المحيط الهـ .....

بتر الرجل عبارته فجأة ، وانقلبت سحنته على نحو بشع ، وهو يصرخ في رعب وألم هائلين :

ـ كلَّا .. كلَّا .. الرحمة !!

وجحظت عيناه على نحو مرعب فظيع ، وتصاعدت من فتحتي أنفه وفمه أبخرة زرقاء داكنة ، وجسده كله يرتجف في قوَّة ، فتراجعت (سلوى) ، وهي تهتف في ذعر :

ـ يا إلهي !!.. ما هذا ؟.. ماذا يحدث ؟

وفجأة تصلَّب جسد الرجل ، وأطلق صرخة أخيرة ، أقسم الجميع أنهم لم يسمعوا أشد هولًا منها و ..

وانفجر رأسه ..

مشهد بشع مخيف ، مقزِّز ..

مشهد رأس ينفجر ، وتنبعث منه سحابة زرقاء داكنة .. سحابة تصاعدت إلى سقف الحجرة ، وتجمَّعت حوله ..

وأدرك (نور) ما تعنيه تلك السحابة الزرقاء ، وصرخ في ذعر :

ـ غادروا الحجرة جميعًا .. غادروها قبل أن تسقط أمطار الموت ..

واندفع الجميع نحو الباب ..

والتمعت الحجرة بضوء البرق الأحمر الدموي ..

وانهمرت أمطار الموت ..

* * *



٦ — الموت الذهبى ..

دلف الدكتور (عبد الله) ، مدير معامل الأبحاث ، التابعة للمخابرات العلمية المصرية ، إلى معمل الدكتور (حجازى) ، فى مبنى المعامل ، واقترب منه فى خطوات سريعة ، وهو يسأله فى مزيج من القلق والتوتر :

— هل توصلت إلى شىء ما ؟

رفع الدكتور (حجازى) عينيه عن عدستى مجهره الخاص ، وهو يقول :

— تقريبًا .

ثم استطرد فى اهتمام بالغ :

— هل توصلتم أنتم إلى شىء ، بخصوص مادة القنينة ؟

تنهد الدكتور (عبد الله) ، على نحو يوحى بالحيرة ، قبل أن يجيب :

— إنها مادة عجيبة ، لا يمكن أن تتوافر على هذا النحو أبدًا !!.. إنها مزيج من السليكون ، والبرونز ، والذهب ، والحديد ، ولكنها شفافة فى الوقت ذاته .

غمغم الدكتور (حجازى) ، وهو يعقد حاجبيه :

— عجبًا !!..

رفع الدكتور (عبد الله) ذراعيه على امتداد جسمه ، ثم أرخاهما على نحو يوحى باليأس ، قبل أن يتابع :

— لولا أننى قد فحصت التركيب الذرى لتلك المواد بنفسى ، ما تصورت أن هذا المعدن الشفاف هو سبيكة من تلك المواد ..

قال الدكتور (حجازى) فى حيرة :

— ولكن كل هذه المواد ، باستثناء السليكون ، لا يمكنها أن تتواجد فى صورة شفافة أبدًا ، هذا يتنافى مع خواصها الفيزيائية المعروفة !!

هتف الدكتور (عبد الله) فى حنق :

— لا تخبرنى بهذا ، فأنا أحفظه عن ظهر قلب ، ولكن ها هى ذى الحقائق تنافى كل العلوم ، التى تلقيناها طيلة عمرنا .

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم قال الدكتور (عبد الله) فى توتر :

— وماذا عن سائل الموت الذهبى ذلك ؟

مط الدكتور (حجازى) شفتيه ، وهز كتفيه ، وهو يقول :

— كل ما توصلت إليه حتى الآن هو أنها ذات خواص

حامضيَّة ، ولكنها تفوق أقوى الأحماض المعروفة على كوكب الأرض ، وأظن أنها ....

توقَّف عن إتمام عبارته في تردُّد ، فسأله الدكتور (عبد الله) في لهفة :

— تظن أنها ماذا ؟

عاد الدكتور (حجازى) يمط شفتيه ، ويهز كتفيه ، قبل أن يقول :

— إنها أقرب إلى الأحماض الأمينية ، ولكن هذا يبدو مثيرًا للدهشة ، فمن المستحيل أن تحصل على كل هذا القدر من تلك الأحماض الحيوية ، ثم إنها لا تملك ذلك اللون الذهبي البرَّاق .

سأله الدكتور (عبد الله) في جدِّيَّة :

— هل اختبرت تفاعلاتها مع القلويَّات ؟

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا ، وقال :

— إنه تفاعل بالغ الضعف حتى الآن . ولكنني لم أختبر تأثير القلويَّات الصناعيَّة القويَّة بعدُ .

سأله الدكتور (عبد الله) في قلق :

— هل تظن أن القلويَّات القويَّة يمكنها أن تكون سلاحًا رادعًا لأمطار الموت ؟

صمت الدكتور (حجازى) لحظة ، ثم أجاب في تردُّد :

— لست أدرى .. ربَّما كانت كذلك ، وربَّما لا يكون هناك أي سلاح يقينا شر ذلك الخطر الداهم .

وارتجف صوته ، وهو يستطرد :

— خطر أمطار الموت .

* * *

لم يكد ذلك البرق الأحمر الدموي يسطع في الحجرة الصغيرة ، التي حوَّلها (نور) ورفيقه إلى معمل أبحاث ، حتى دفع (نور) زوجته و (محمود) خارج المكان ، بكل ما يمكن من قوَّة ، ورأى (رمزى) يقفز خارجًا ، فتبعه بقفزة هائلة ، في نفس اللحظة التي انهمرت فيها أمطار الموت ..

وشعر (نور) بآلام مبرِّحة في ساقه اليسرى ، التي أصابتها قطرة واحدة من السائل المرعب ، ولكنه نجا مع رفاقه ، وهتفت زوجته في رُعب :

— (نور) .. هل أصبت ؟

تعالى في تلك اللحظة صراخ الرجل ، الذى بقى داخل الحجرة ، فهتف (نور) في هلع :

— يا إلهى !! .. يا للمسكين !!



ورأى (رمزى) يقفز خارجا ، فتبعه بقفزة هائلة ، فى نفس اللحظة التى انهمرت فيها أمطار الموت .

واندفع يحاول العودة ، لإنقاذ الرجل ، ولكن (رمزى) تشبث به ، وهو يهتف فى ذعر :

ـ ماذا ستفعل يا (نور) ؟.. الرجل هالك لا محالة ، وستقتل نفسك لو لحقت به .

صرخ (نور) ، وهو يحاول التملص من قبضة (رمزى) :

ـ ولكننا تسببنا فى مقتله يا (رمزى) .. نحن قيدناه إلى منضدة الفحص .

صاح به (رمزى) :

ـ لم نكن نعلم ما سيحدث يا (نور) .. إنه قدره

توقف صراخ الرجل فى تلك اللحظة ، فشحب وجه (نور) ، وهو يغمغم :

ـ يا إلهى !!.. لقد .. لقد ..

قاطعه (رمزى) فى صرامة :

ـ لقد نال ما يستحقه يا (نور) .

ارتجفت عضلات وجه (نور) ، الذى يكره العنف والدمار ، وامتقع وجهه فى شدة ، وهو يغمغم فى ارتياع :

ـ يا إلهى !!.. يا إلهى !!..

صاح (محمود) فى تلك اللحظة ، وهو يشير إلى السائل

الذهبى ، الذى بدأ يسيل خارج الحجرة ، ويلتهم أرضية المنزل الخشبية :

ـــ ابتعدوا يا رفاق .. إنه يزحف نحونا .

أسرع الجميع يبتعدون عن السائل القاتل ، وهتفت (سلوى) ، وهى تشير إلى جرح ساق (نور) :

ـــ يا إلهى !! .. انظر يا (نور) .. إن جرحك يبدو كثقب منتظم ، ولا يدمى على الإطلاق .

انحنى (رمزى) يفحص جرح (نور) فى اهتمام ، ثم غمغم فى دهشة :

ـــ عجبًا !! .. لقد نفذت قطرة السائل الذهبى عبر الجلد والعضلات ، وخرجت من الجانب الآخر ، مذيبة كل ما لمسته ، حتى أطراف الأوردة والشرايين المقطوعة التحمت ، فلم تنزف قطرة واحدة من الدماء .

وتنهّد قبل أن يستطرد فى حيرة وذُعر :

ـــ أى سائل هذا يا رفاق ؟

أجابه (نور) وهو يزوى ما بين حاجبيه :

ـــ بل قل أية ظاهرة تلك ، التى بعثت السحب من جمجمة

عظمة ، وأحدثت عاصفة ، وبرقًا ومطرًا قاتلًا داخل حجرة صغيرة ؟!

غمغم (محمود) :

ـــ هذا هو السؤال بالفعل يا (نور) .

اعتدل (نور) ، وهو يقول فى حزم :

ـــ لن تجد جواب هذا السؤال إلا عند (سيّد العصر) يا (محمود) .

هتف (محمود) فى سخط :

ـــ وأين نجد هذا اللعين ؟

أجابه (نور) فى هدوء أدهش الجميع :

ـــ سنجده يا (محمود) .. سنجده ؛ لأننا نعلم عنه الكثير الآن .

هتفت (سلوى) فى دهشة :

ـــ الكثير ؟!

أجابها (نور) فى حزم :

ـــ نعم يا (سلوى) .. الكثير .. أكثر مما تتوقّعون .

* * *

« لم يعد أمامنا سوى أربعة أيام فقط يا (نور) » ..

نطق (رمزى) بهذه العبارة فى قلق واضح ، فأجابه (نور) فى حماس ، وهو يجلس خلف مكتبه ، فى إدارة المخابرات العلمية :

ـــ دعك من الوقت يا (رمزى) .. لقد وضعنا أقدامنا على أوّل الطريق .

هزّت (سلوى) رأسها فى حيْرة ، وهى تقول :

ـــ لسنا نفهمك فى الواقع يا (نور) .. إنك تقول إننا قد وضعنا أقدامنا على أوّل الطريق ، وإننا أصبحنا نعلم الكثير عن (سيّد العصر) هذا ، فى حين أننى و (رمزى) و (محمود) ، نرى أننا لا نملك أية معلومات على الإطلاق .

ابتسم (نور) ، وهو يقول فى ثقة :

ـــ بل نملك الكثير بالفعل يا رفاق .

ثم اعتدل ، وهو يستطرد فى اهتمام :

ـــ هل تذكرون ما قاله ذلك الرجل ، الذى تفجّر رأسه ، قبل أن يلقى مصرعه ؟.. لقد قال بالضبط : « تحت الأرض فى تلك الجزيرة .. هناك .. فى المحيط الهـ ... » .. ثم بتر عبارته بصرخة الموت التى أطلقها .

زفرت (سلوى) ، وهى تقول فى صوت أقرب إلى اللهاث :

ـــ لن تفارق تلك الصرخة أذنى ما حييت .

وافقها (نور) بإيماءة من رأسه ، واستطرد قائلاً :

ـــ هذا يعنى ، أنه بالإضافة إلى ما أخبرنا به (رمزى) ، فنحن نعلم أيضًا أن (وغد العصر) هذا يختبئ فى أعماق جزيرة ما ، تقع فى أحد المحيطين ، (الهادى) أو (الهندى) .

هتف (محمود) :

ـــ هل تعلم كم يبلغ عدد الجزر فى المحيط الهادى ، والمحيط الهندى يا (نور) ؟

لوّح (نور) بكفه ، وهو يقول :

ـــ إننا سنركّز بحثنا على المحيط الهندى يا (محمود) ، فلقد ضرب ذلك الوغد ضربته الأولى فى (أسوان) ، وهذا يعنى أن أقرب طريق يتخذه ، ليرسل سحبه الزرقاء عبره ، هو المحيط الهندى ، ثم البحر الأحمر ، فـ (أسوان) ، أما لو كان وكره فى المحيط الهادى ، لكان على سحبه أن تقطع نصف (أفريقيا) ، أو البحر المتوسّط كله ، فى حين لم ترصدها أية عابرة بحار هناك .

عاد (محمود) يقول :

— حتى لو راهنا على استنتاجك هذا يا (نور) ، فسيكون علينا أن نفحص ما يزيد على خمسين جزيرة ، فى كل المحيط الهندى .

أشار (نور) إلى (رمزى) ، وهو يقول :

— سنترك هذه المهمة لزميلنا (رمزى) .

هتف (رمزى) فى دهشة :

— أنا ؟!

أجابه (نور) فى هدوء :

— نعم .. أنت يا (رمزى) .

ثم التفت إلى خريطة العالم ، التى تحتلُّ الحائط الخلفى لمكتبه كله ، وأشار إلى المساحة التى يحتلها منها المحيط الهندى ، وهو يستطرد :

— أى جزيرة تختار للاختباء ، لو أنك فى مكان رجل مغرور ، مصاب بمزيج من النرجسية ، والشعور بالعظمة والاضطهاد ؟

ابتسم (رمزى) ، وقد أدرك مغزى قول (نور) ، وتطلّع إلى الخريطة بدوره ، وهو يقول :

— من الطبيعى أن يقع اختيارى على جزيرة فى موقع متوسِّط ، يقطنها أقل عدد ممكن من الوطنيين والسكان ، بحيث لا أجد الكثير من الفضوليين ، وفى نفس الوقت يمكننى بناء قاعدة كاملة لى فى باطنها ، وإطلاق سحب الموت الخاصة بى ، دون أن تلتقطها أجهزة الرصد .

ثم أشار إلى جزيرة وسط المحيط ، وهو يستطرد فى ثقة :

— باختصار ، كنت أختار هذه الجزيرة .. التى تتوسَّط جزر (مالاديف) .

هتف (نور) فى حماس :

— بالطبع يا (رمزى) .

وأشار بدوره إلى الجزيرة ذاتها ، وهو يستطرد :

— هنا يا رفاق .. هنا سنجد (سيِّد العصر) ، وشيطان أمطار الموت ..

* * *

٧ــ جزيرة الشيطان ..

« ثلاثة أيام فقط ، وتنتهى المهلة الممنوحة » ..

هكذا بدأت (مشيرة محفوظ) نشرتها الإخبارية الخاصة ، على شاشات صحيفة (أبناء الفيديو) ، وما من شك فى أن كل مواطن فى (مصر) كان يستمع إلى تلك النشرة ، التى تصدرها الصحيفة ، وتبثها على شاشات محطة تليفزيونية محسّنة خاصّة ، فى ظل ذلك الموقف المتوتر ، الذى يسود العالم أجمع ، منذ هطلت لأوّل مرة ، أمطار الموت ..

وفى تلك النشرة بالذات كانت (مشيرة) تبدو شديدة التوتُّر ، وهى تستطرد فى نبرات حادّة :

ــ وحتى هذه اللحظة لم تعلن أية دولة موافقتها ، أو رفضها لشروط الإنذار ، والتزمت جميع دول العالم الصمت ، إزاء الموقف ، فى حين لم يكرّر صاحب الإنذار رسالته ، واكتفى بتوجيه ضربة أخرى من أمطار الموت الذهبية إلى الدولتين العظميين ، ففى السادسة من صباح اليوم ، حجبت الغيوم الزرقاء سماء مدينتى (أوكسك) السوفيتية ، و (سان دييجو) الأمريكية ، وقبل أن يفرّ سكان المدينتين بأعمارهم ،

غمرتهم أمطار الموت الذهبيّة ، وأبادت المدينتين عن آخرهما ، ولقد صرّح مندوبا الأمم المتحدة للدولتين ، بأن هذه الكارثة تفوق حادثى (هيروشيما) و (نجازاكى) فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، فى منتصف القرن الماضى .

وعلى الرغم من أن ذلك ينافى كل القواعد المعروفة ، فى فى الإلقاء ، فقد زفرت (مشيرة) فى حنق ويأس ، قبل أن تستطرد :

ــ وعلى الرغم من بشاعة الحادثين ، وضياع الآلاف من أرواح البشر ، إلّا أن هذا لم يدفع أية دولة إلى الرضوخ للإنذار ، ويبدو أن دول العالم أجمع تنتظر اللحظة الأخيرة من الإنذار ، قبل أن تحدّد موقفها ..

وفى صوت تملؤه رنة أسى ، أضافت (مشيرة) فى ختام النشرة :

ــ والسؤال الآن هو : لمن يكون النصر ؟.. وكيف ينتهى الأمر ؟ . أيرضخ العالم لذلك السلام الإجبارى ، أم يتحوّل العالم كله إلى بركة موت ذهبيّة ؟

تصاعد اللحن المميّز لنشرة (أبناء الفيديو) ، وزفرت (مشيرة) فى قوة وحنق ، فاقترب منها مخرج النشرة ، وربّت على كتفها فى إشفاق ، وهو يغمغم :

— لقد كنت شديدة التوتر هذه المرة .

غمغمت فى صوت أقرب إلى البكاء :

— معذرة .. إننى أتحمّل ما يفوق طاقتى .

أومأ برأسه موافقًا ، ومتعاطفًا ، وهو يتمتم :

— هذا هو شعور الجميع يا (مشيرة) .. العالم كله يمرّ الآن بأصعب مواقف تاريخه .

وصمت لحظة ، ثم سألها فى اهتمام :

— هل ترغبين فى العودة إلى منزلك ؟

هزّت رأسها نفيًا ، وهى تقول فى ضيق :

— كلا .. أفضّل البقاء هنا .

سألها فى دهشة :

— ألن يقلق زوجك لتأخرك ؟

زفرت فى مرارة ، قبل أن تقول :

— إنه ليس هنا .. لقد سافر .

سألها فى دهشة :

— إلى أين ؟

هتفت فى حدّة مفاجئة :

— لست أدرى .

ثم عاد الحزن يكتنف صوتها ، وهى تستطرد :

— إنه يلتزم السّرّية تمامًا ، فى كل ما يتعلّق بعمله .. لقد رفض أن يخبرنى بوجهته ، كل ما قاله هو أنه سيذهب لقتاله .

سألها المخرج فى حيرة :

— لقتال من ؟

رفعت إليه عينين حزينتين ، وهى تقول فى مرارة :

— الشيطان .. شيطان أمطار الموت .

* * *

حينما هبط (نور) ورفاقه فى تلك الجزيرة الصغيرة ، من جزر (مالاديف) ، كان عقله يسترجع كل المعلومات ، التى توصّل إليها مع فريقه ، وكل ما أخبره به الدكتور (حجازى) ، فيما يخصّ (سيّد العصر) ، وأمطار الموت ..

ولقد بدت له الجزيرة بغاباتها القديمة ، وأحراشها الكثيفة ، كما لو أنها تنتمى إلى حقبة أخرى من الزمن والتاريخ ، حتى أنه من العسير أن يصدّق المرء ، أنه ما يزال يحيا فى القرن الحادى والعشرين ..

حتى الوطنيون هناك ، كانوا يبدون شديدى الحذر ، تجاه كل ما يخصّ الغرباء ، فلم يبد أى منهم استعدادًا للتعاون ، إلا

أن نظرات الذعر والفزع كانت ترتسم فى العيون ، وعلى الملامح ، حينما يثار الحديث عن أمطار الموت الذهبيّة ، أو السحب الزرقاء ..

رجل واحد كانت لديه الشجاعة ليروى كل شىء فى حذر ..

حاكم الجزيرة ..

لقد استقبل (نور) وفريقه فى مزيج من الحذر والترحاب ، ولم يكد يعلم ما أتوا من أجله ، حتى عقد حاجبيه ، وتردّد طويلاً ، قبل أن يغمغم :

ـ قد يمكننى إشباع فضولكم بالنسبة للسحب الزرقاء ، ولكن كل معلوماتى عن الأمطار الذهبية تنحصر فيما تذكره الصحف ، ونشرات الأخبار .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ حسنًا .. ماذا تعلم عن السحب الزرقاء ؟

تردّد الرجل لحظة أخرى ، ثم أجاب فى حذر :

ـ إن جزيرتنا أيها الرائد ، واحدة من سلسلة جزر بركانية ، ولا ريب أنكم قد لاحظتم ذلك البركان الخامل ، الذى يعلو منتصف الجزيرة ، وسط الأدغال .. إن تاريخنا

القديم يقول إن هذا البركان قد ثار مرة واحدة ، كاد يقضى فيها على الحياة فى الجزيرة كلها ، لولا أن بادر أجدادنا الأوائل بالفرار ، فى الوقت المناسب ، ومنذ ذلك الحين زادت خصوبة التربة و...

قاطعه (رمزى) فى ضجر :

ـ ما شأن البركان بالسحب الزرقاء يا سيدى ؟

رمقه الرجل بنظرة حادّة ، ثم أشاح بوجهه ، وهو يستطرد ، متجاهلاً مقاطعة (رمزى) له :

ـ ومنذ ذلك الحين ، من أكثر من قرنين من الزمان ، لم يثر هذا البركان أبدًا ، إلا أنه ، ومنذ عام واحد ، بدأت بعض الظواهر العجيبة تحدث هنا .

سألته (سلوى) فى فضول ، يحمل الكثير من الخوف :

ـ أية ظواهر ؟

أجاب الرجل فى هدوء :

ـ منذ ما يقرب من عام ، وفى ليلة مقمرة ، توالت البلاغات على قسم الشرطة ، يؤكد أصحابها أن القمر قد ازدوج ، وصار قمرين ، ثم سقط أحدهما فى البركان .

غمغم (محمود) فى دهشة :

ـ ماذا ؟!

استطرد الحاكم فى توتر ملحوظ :

ـ لقد تصور رجال الشرطة أنها بلاغات هزلية ، أو خيالات مخمورين ، لولا أن كان أحد أصحاب البلاغات هو قاضى الجزيرة ، وهو شخص يتمتع باحترام وثقة الجميع ؛ لذا فقد قرر رجال الشرطة تحرى الأمر ، وتفقد البركان ، إلا أن هذا لم يسفر عن شىء ، مما دعا الجميع إلى الاعتقاد بأن ما رآه الجميع ، ليس إلا ظاهرة خداعية ، نشأت عن بعض التذبذبات فى الغلاف الجوى ، مما أوحى للجميع بما رأوه ، ولقد قنع الجميع بذلك التفسير ، وسكنوا إليه ..

صمت الحاكم لحظة ، وكأنما يستجمع شجاعته ، ثم استطرد :

ـ ولكن الأحداث التى تلت ذلك أثارت رعب وتوتر الجميع ، فلقد تحولت منطقة البركان إلى منطقة محرمة .. كل من يذهب إليها يختفى ، ويتلاشى ، حتى رجال الشرطة ، الذين ذهبوا للبحث عن المختفين ، لم يعد أحد منهم ليروى ما وجده هناك .

كان التوتر فى صوت الرجل يرتفع تدريجيًا ، وهو يردف :

ـ حتى النباتات المحيطة بالبركان ، اختفت ، وتركت خلفها منطقة جرداء مخيفة ، ومع مرور الوقت امتنع الجميع عن الذهاب إلى هناك ، وأصبحت جزيرتنا تسمى « جزيرة الشيطان » .

ازدرد الحاكم لعابه فى صوت مسموع ، وتأمل وجوه أفراد الفريق ، الذين يستمعون إليه فى اهتمام واضح ، ثم واصل حديثه ، قائلاً :

ـ ومنذ خمسة أيام بالضبط ، حدثت ظاهرة ألقت الرعب فى قلوب الجميع .

وصمت لحظة ، قبل أن يردف فى صوت مرتجف ، يحمل أبشع دلالات الرعب :

ـ لقد تصاعدت من فوهة البركان الخامد سحب زرقاء داكنة .

ارتجفت قلوب أفراد الفريق ، مع هذا التصريح الأخير ، وهتف (نور) فى انفعال :

ـ منذ خمسة أيام بالضبط ؟! أأنت واثق من هذا يا سيدى ؟

أومأ الرجل برأسه إيجابًا فى اضطراب ، فالتفت (نور) إلى النافذة الزجاجية لحجرة الحاكم ، التى يبدو البركان شامخًا من خلالها ، وهتف فى انفعال شمل كيانه كله :

ـ هذا يعنى أننا نسير فى الطريق الصحيح يا رفاق .. إن حل الغموض كله يكمن هنا .. فى قلب جزيرة الشيطان .

* * *



أومأ الرجل برأسه إيجابًا فى اضطراب ، فالتفت (نور) إلى النافذة الزجاجية لحجرة الحاكم ، التى يبدو البركان شامخًا من خلالها .

٨ ــ فُوَّهة الموت ..

اندفع (جوان) إلى حجرة (سيِّد العصر) ، وهو يهتف فى توتُّر واضح :

ــ سيِّدى .. هناك طوَّافة هبطت على ....

بتر عبارته فجأة ، حينما رأى (سيِّد العصر) أمام شاشاته الراصدة ، يتابع هبوط (نور) ورفاقه من الطوَّافة ، على حافة البركان الخامل ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره فى هدوء ، ومضت لحظة لم يتفوه خلالها (سيِّد العصر) بحرف واحد ، قبل أن يغمغم (جوان) :

ــ هل نقتلهم يا سيِّدى ؟

مضت لحظة صمت أخرى ، قبل أن يغمغم (سيِّد العصر) فى برود حازم :

ــ كلا .

ثم أشار إلى شاشته ، مستطردًا فى صرامة :

ــ إن هذا الشاب هو الرائد (نور الدين) ، رجل المخابرات العلمية المصرية ، الذى تحدَّانى علانية ، ووصوله إلى هنا يعنى أن المصريِّين قد توصَّلوا إلى مخبئى ، وقتله سيمحو كل ما لديهم ، وما لديه من معلومات عنى

وصمت مرّة ثالثة ، ثم التفت إلى (جوان) ، الذى ارتجف أمام نظرات زعيمه المخيفة ، وصوته الصارم ، وهو يقول فى لهجة آمرة مخيفة :

ـ أريده حيًّا .. أريد الفريق كله هنا .. أحياء .

ارتجف (جوان) ، وهو يغمغم فى رهبة :

ـ سمعًا وطاعةً يا سيّدى .. سآتى بهم جميعًا إلى هنا .. أحياء .

* * *

تطلّع الفريق كله إلى البركان الخامل ، الخامد ، عبر فوّهته الواسعة المخيفة ، وقالت (سلوى) فى اضطراب :

ـ إنه يبدو هادئًا ، على عكس ما توقعنا يا (نور) !

غمغم (نور) فى هدوء :

ـ هل سمعت عن الهدوء ، الذى يسبق العواصف يا (سلوى) ؟

همهمت بكلمات مضطربة ، غير مفهومة ، فى حين قال (رمزى) :

ـ من الواضح أن (سيّد العصر) هذا يمتلك قدرات فائقة يا (نور) ، حتى يمكنه بناء قاعدته فى قلب بركان .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يغمغم :

ـ قدرات فائقة ؟!.. بالطبع .. إنه كذلك يا (رمزى) .

انطلقت فجأة شهقة فزع من صدر (محمود) ، وهتف فى ذعر :

ـ يا إلهى !!.. انظروا !!

أطلقت (سلوى) بدورها صرخة ذُعر ، وتراجع (رمزى) فى توتّر ، فى حين انتزع (نور) مسدسه الليزرىّ ، وصوّبه فى حيرة إلى صدور عشرات من الرجال ، الذين أحاطوا بهم فجأة ، فى أردية أرجوانية ، تحمل شعار الدائرة الذهبيّة ، التى تتوسّطها سحابة زرقاء داكنة ..

وهتف (نور) فى توتّر :

ـ إذن فهو هنا .. هذا هو وكر (شيطان العصر) .

ارتفعت بنادق رجال (سيّد العصر) فى وجوه (نور) وفريقه ، وقال قائدهم فى صرامة :

ـ اخفض مسدّسك أيها الرائد (نور) ، وإلا فلن نتردّد فى قتلكم جميعًا .

تردّد (نور) لحظة ، ولكن فضوله ، ورغبته فى معرفة الحقيقة حسما الأمر ، فألقى مسدّسه الليزرىّ ، وقال فى حزم :

ـ أين هو ؟.. أين (وغد العصر) هذا ؟

أجابه قائد الأرجوانيين بنفس الصرامة :

ـ لا تتعجّل أيها الرائد .. ستلتقي به .. ستلتقون به جميعًا .. الآن ..

* * *

تطلّع أفراد الفريق إلى ما حولهم في انبهار ، فقد قادهم الأرجوانيون إلى فوّهة البركان ، حيث انشق جوف الفوّهة ، وارتفعت منه مركبة هوائية ، بلا صوت أو عادم ، استقلّها الجميع ، لتهبط بهم إلى جوف البركان ، حيث أُغلقت الفوّهة فوقهم ، وواصلت المركبة هبوطها لأكثر من مائتي متر ، حتى أصبحت على عمق عشرين مترًا تقريبًا ، من مستوى سطح الأرض ، فتوقّفت المركبة وسط قاعة ضخمة ، تتألق فيها مصابيح ذهبية مبهرة ، وغادر الجميع المركبة ، وقاد الأرجوانيون أفراد الفريق ، عبر ممر ضخم إلى قاعة أخرى أقل حجمًا ، تسطع بضوء ذهبي عجيب ، على الرغم من أنه لا يوجد مصباح واحد بها .. ولقد كانت تلك القاعة الثانية خالية ، عارية ، إلا من مقعد واحد من الذهب الخالص ، يتصدّر الحائط المواجه لأفراد الفريق ، أما أرضها فكانت

مصنوعة من نفس معدن القبة الشفاف ، وأسفلها كانت تتدفّق الحمم البركانية ، على نحو مثير للرعب ، حتى أن (سلوى) غمغمت في توتّر :

ـ ماذا يمكن أن يحدث ، لو تحطمت هذه الأرضية فجأة ؟

ارتجف (رمزي) لتصوّرها ، وغمغم (محمود) في توتّر :

ـ أفضّل ألا أتصوّر ذلك .

أما (نور) ، فقد أجاب في هدوء :

ـ ستبتلعنا الحمم ولا شك .

انتفض جسد (سلوى) ، وهي تقول في استنكار :

ـ (نور) !! .. هل تحاول إثارة رعبي ؟

غمغم في هدوء :

ـ اطمئني يا عزيزتي .. إن هذا المعدن مقاوم لأقوى درجات الحرارة ، وعازل لها في الوقت ذاته

غمغم (محمود) في دهشة :

ـ هذا صحيح .. إننا لا نشعر بالحرارة ، على الرغم من أن الحمم تتدفّق تحت أقدامنا تمامًا .

ابتسم (نور) في سخرية ، على الرغم من دقة الموقف وصعوبته ، وغمغم في هدوء :

— من الواضح أن (وغد العصر) هذا يريد أن يبهرنا ، ويؤثر على مشاعرنا يا رفاق .

غمغم (رمزى) فى توتر :

— أظنه قد نجح

هتف (نور) فى صرامة :

— كلا يا (رمزى) .. لا ينبغى أن نسمح له بأن ينجح فى ذلك .

لم يكد يتم عبارته حتى سطع بريق قوى ، أغشى أبصار الجميع ، واستمر سطوعه لحظات ، ثم خبا دفعة واحدة ، وحينما فتح الجميع عيونهم ، كان (سيد العصر) يستقر فوق مقعده المصنوع من الذهب الخالص ، وعيناه تشعان ببريق مخيف ، وهو يقول فى صرامة وعمق مخيفين :

— انحنوا .. إنكم أمام (سيد العصر) ..

* * *

جاء جواب (نور) مثيرًا لذهول الجميع ، فى ذلك الموقف العصيب ، فلقد أجاب عبارة (سيد العصر) الصارمة العميقة المخيفة بضحكة ...

ضحكة ساخرة ، رددت القاعة كلها صداها ، وانعقد لها حاجبا (سيد العصر) فى غضب هائل ، قبل أن تستعيد ملامحه صرامتها ، وهو يقول :

— يبدو أنك تتعجل الموت أيها الرائد .

هزَّ (نور) كتفيه فى لا مبالاة ، وهو يقول فى هدوء ساخر :

— ما توقعت أبدًا أن تسمح لنا بمغادرة هذا المكان ، على قيد الحياة ، أيها الوغد .

مطَّ (سيد العصر) شفتيه فى برود ، وهو يقول :

— كان يمكنك أن تحظى بهذا أيها الرائد ، ولكنك أضعته بغرورك وغطرستك .

واستطرد فى حدة مفاجئة :

— بل يمكنك أن تحظى بلقب امبراطور الشرق الأوسط كله لو أردت .

أجابه (نور) فى صرامة :

— ومن أخبرك أننى أريد أن أحظى بذلك اللقب السخيف ؟

ثم أردف فى سخرية :

— الذى يكشف حقيقة ما ترمى إليه ، وأنت تختبئ خلف مطلب السلام العالمى

وأشار إليه ، وهو يستطرد فى حزم :

ــ إنك تسعى للسيطرة على العالم وحدك .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي (سيِّد العصر) ، وهو يقول :

ــ أهذا ما توصَّلت إليه عبقريتك أيها الرائد ؟!.. إنني أسعى لحكم العالم وحدي ؟!

أجابه (نور) في صرامة :

ــ نعم .. لقد فضحت نفسك .. إنك ..

وفجأة بتر (نور) عبارته ، واتسعت عيناه ، وتواردت على ذهنه عبارات ومشاهد مختلفة سابقة ..

ماذا سيفعل العالم ، إذا ما تخلَّص من كل أسلحته ، ثم واجه غزوًا من الفضاء الخارجي ؟!..

لا أحد يعلم من هو (سيِّد العصر) .. ولكنه رجل خارق .. رجل لا مثيل له بين أهل الأرض جميعًا ..

إنها مادة عجيبة ، لا تتوافر على هذا النحو أبدًا ..

من المستحيل أن نحصل على كل هذا القدر من تلك الأحماض الحيويّة .. ثم إنها لا تملك ذلك اللون الذهبي البرّاق ..

يؤكِّد أصحاب البلاغات أن القمر قد ازدوج ، وصار قمرين ، ثم سقط أحدهما في البركان ..

كل تلك العبارات قفزت إلى رأس (نور) دفعة واحدة ، واختلطت بمشهد سيّارته ، وذلك السائل الذهبي يلتهمها في شراهة ، والسحب الزرقاء ، التي تصاعدت من رأس ينفجر ، ووجد نفسه يهتف :

ــ يا إلهي !!..

وبرقت عيناه ببريق بعث رجفة في أجساد رفاقه ، ثم التفت إلى (سيِّد العصر) ، وهو يقول في انفعال وصرامة :

ــ تعديل بسيط يا (وغد العصر) .. إنك لا تسعى لحكم العالم وحدك .. إنك تسعى لتهيئته لغزو بني جنسك .

اتسعت عينا (سيِّد العصر) ، وهو يقول :

ــ بني جنسي ؟!

أجابه (نور) في حزم :

ــ نعم .. بني جنسك .. فأنت وأنا نعلم أنك لست بشريًا .. إنك من كوكب آخر يا (سيِّد الخادعين) .. كوكب الغزاة ..

* * *



اتسعت عيناه (سيّد العصر) ، وهو يقول :
ــ بنى جنسى ؟!

٩ ــ الذهــول ..

ألقت عبارة (نور) الأخيرة الذهول فى قلوب الجميع ، حتى رجال (سيّد العصر) ، الذين أخذوا يحدقون فيه بمزيج من الرّعب والقلق والذهول ، وساد صمت تام ، قطعه (سيّد العصر) بضحكة مضطربة عالية ، قبل أن يهتف :

ــ أى هراء هذا أيها الرائد ؟!.. هل أصابك الخوف بالجنون ؟!.. هل أبدو لك من عالم آخر ؟

أجابه (نور) فى صرامة :

ــ نعم أيها المخلوق القادم من وراء النجوم .. إن مطلب نزع السلاح العالمى هذا ليس سوى وسيلة لتمهيد الأرض ، لاستقبال غزاة كوكبك ، دون سلاح يكفل الدفاع عن نفسها ..

حاول الرجل أن يعترض ، إلّا أن (نور) استطرد فى حزم :

ــ كل الدّلائل تؤكّد ذلك .. لقد وصلت إلى كوكبنا فى مهمّة سرّيّة ، فى سفينة ذات لون فضّى مضىء ، بدت للجميع أشبه بالقمر ، حتى أنهم قد تصوّروا أن القمر قد ازدوج ،

وانفصل ، وسقط فى فُوَّهة البركان ، الذى وقع اختيار كوكبك عليه كمخبإ سِرِّىّ ، تبدأ منه عملية الغزو . واستغرقت عامًا كاملًا لبناء وكرك ، وتجريد المنطقة المحيطة بالمخبإ من النباتات ، حتى تسهل مراقبتها ، وكان من الضرورىّ أن تتخلَّص من كل من يقترب منك ، حتى حانت لحظة العمل ، بعد أن جنّدت كل من اختطفتهم للعمل لحسابك ، بعد أن أغريتهم ببريق الذهب ، وحلم السلطة ، بعد أن تنجح فى السيطرة على العالم ..

هتف (سيِّد العصر) فى توتُّر :

ــ هُراء .

تجاهل (نور) اعتراضه ، وأردف فى صرامة :

ــ ولا ريب أن ولاءهم لك قد أصبح أقوى ، وأشد ، بعد أن بدأت فى إطلاق سحبك الزرقاء ، ذات الأمطار الذهبية المميتة ، التى أثارت رعب العالم أجمع .

هبَّ الرجل من مقعده ، وأشار إلى (نور) بقبضته ، وهو يصرخ فى ثورة :

ــ هنا يكمن الخطأ فى نظريتك أيها الرائد .. لماذا لا أقضى على العالم كله بأمطار الموت ، بدلًا من أن أطالبه بنزع السلاح ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ــ لأنك لا تملك كل تلك الكمية من سائل الموت الذهبىّ ، التى تكفى لإفناء العالم كله ، ولأنه لا معنى للغزو ، إذا ما هبطتَ على سطح كوكب فانٍ ، تحوَّل إلى كرة من سائل الموت .

لم ينطق أى من الحاضرين بلفظ واحد ، وهم ينقلون أبصارهم بين (نور) و (سيِّد العصر) ، حتى وصل (نور) إلى هذه النقطة من حديثه ، فقال قائد الأرجوانيين فى تردُّد :

ــ أهذا صحيح يا سيِّدى ؟

هتف (سيِّد العصر) فى سخط :

ــ هُراءٌ .. هُراءٌ أحمق .

اندفع (نور) يقول فى صرامة :

ــ هل لك أن تفسِّر لى إذن كيف أمكنك أن تجد تلك المعادن الشفَّافة ، فى كوكب الأرض ؟ .. إن الخواصّ الفيزيائية لأى معدن محدودة ، ومعروفة ، ووجوده على هذه الصورة لا يعنى إلَّا شيئًا واحدًا .

وتحوَّل صوته إلى كتلة من الصرامة والحزم ، وهو يُردف :

ــ إنه قد جاء من كوكب آخر ، وبصفات وخواص فيزيائية أخرى .

ارتبك صوت (سيّد العصر) ، وهو يغمغم :

— مجرّد هُراء .

هتف (نور) :

— وماذا عن تلك الأحماض الأمينية التي تستخدمها ؟.. أنت وأنا ، وكل عالم كيميائي في العالم أجمع ، تعلم أنه من المستحيل الحصول على كل هذا القدر منها ، خاصّة أنها أحماض حيويّة محضة .

وتسللت نبرة ساخرة إلى صوته ، وهو يستطرد :

— إلا إذا جاءت من كوكب آخر ، تحيا فيه بصورة أخرى .

كان من الواضح أن استنتاج (نور) قد وجد صداه في قلوب الجميع ، وأنه قد نجح في كسب عقولهم ، على الرغم من غرابته ، فقد حمل صوت قائد الأرجوانيين كلّ الصّرامة ، وهو يقول :

— هل هذا صحيح ؟

رمقه (سيّد العصر) بنظرة باردة ، قبل أن يستعيد سيطرته على نفسه ، ويعقد كفيه خلف ظهره ، قائلاً في هدوء :

— وماذا يعنيك من صحته أو خطئه ؟.. إنك ستنال الثراء والسّطْوَة في الحالتين يا (جوان) .

هتف (جوان) بكل ما يجيش به صدره في توتّر :

— هل هذا صحيح ؟

سرت رعدة في أجساد الجميع ، حينما تألّقت عينا سيّد العصر ببريق ذهبي مخيف ، وانقلب صوته إلى ما يشبه ارتجاع الصّدى ، وهو يقول :

— نعم .. هذا صحيح ..

وأمام عيونهم المذهولة ، انتزع عن وجهه ذلك القناع ، ذا الملامح البشرية ، وبدا من تحته وجهه الحقيقي ..

وجه مخلوق من كوكب آخر ..

* * *

صمت رهيب ، ذلك الذي ساد المكان ، بعد أن كشف (سيّد العصر) عن حقيقته ووجهه ..

ذهول شديد ، ذلك الذي شمل الجميع ، حتى رجاله ، وهم يتطلّعون إليه ..

في اللحظة التي نزع فيها قناعه البشري ، كان الجميع

يتوقعون رؤية وحش بشع ، خلف القناع ، ولكن ما رأوه كان آية من إبداع الخالق (عزّ وجلّ) .

كان (سيّد العصر) يملك وجهًا وسيمًا ، تطابق ملامحه ملامح البشر تمامًا ، فيما عدا لونه الذهبي الجميل ، وشعره الذي بدا كخيوط من الفضة تزين رأسه في نعومة وجمال ، حتى بدا كتمثال من الذهب والفضة ، يحمل ملامح مخلوق بالغ الوسامة والجمال ..

وفي هدوء شديد ، وبريق عينين ذهبي ، تطلّع (سيّد العصر) إلى وجوه الجميع ، وابتسم في مزيج من السخرية والثقة ، وهو يقول بصوته الرنّان ، الشبيه برجع الصدى :

ـــ هل يدهشكم ما ترونه ؟

كادت (سلوى) تجيب بالإيجاب ، لولا أن قال (نور) في هدوء :

ـــ لماذا ؟.. ما أنت إلّا صورة من خلق الله (سبحانه وتعالى) .. الأرض وحدها تزخر بملايين الأشكال من الحياة ، فلماذا يدهشنا وجه مخلوق من كوكب آخر .

أطلق (سيّد العصر) ضحكة رنانة ، قبل أن يقول في هدوء ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره :

ـــ مكابر أنت أيها الرائد :

قال (نور) في صرامة :

ـــ وحقير أنت أيها الوغد .

رفع (سيّد العصر) حاجبيه الفضيّين ، وهو يقول :

ـــ حقير ؟!.. لا وجود لهذه الكلمة في قاموس كوكبي كله أيها الرائد .. إنني أؤدّي واجبي .

هتف (رمزي) في حنق :

ـــ وهل واجبك هذا هو قتل الأبرياء ، وتمهيد الأرض للغزو ؟

أجابه في هدوء :

ـــ بالطبع .. ألم يفعل بنو جنسك ذلك في كل حروبهم ؟

ألجمت إجابته ألسنة الجميع ، وتبادلوا نظرة خجل ، في حين استطرد هو في هدوء ، بصوته الرنّان :

ـــ قبل أن تناقش هذا الأمر ، أعتقد أنه من حقكم أن تعرّفوني أوّلًا .

وشدّ قامته في فخر ، وهو يردف :

ـــ اسمي (جلايز) ، هكذا يخاطبونني في كوكبي ، وأنا أنتمي ـــ في دولتي ـــ إلى ما يشبه أجهزة المخابرات عندكم ،

ولكن فيما يمكنكم تسميته بالمخابرات الفضائية ، وأنا عميل خاص ، لا يتم إرسالى إلا فى المهمات البالغة الخطورة والحساسية .

هتف (محمود) فى غضب :

ــ مثل غزو الأرض ؟!

ابتسم (جلايز) ، وهو يقول فى هدوء :

ــ بالضبط .

ثم أردف فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ــ ولن يمنع أى بشرى إتمام مهمتى .

دوّى فجأة صوت (جوان) ، وهو يهتف فى صرامة :

ــ هذا ما تظنه .

التفت الجميع فى دهشة إلى (جوان) ، الذى رفع فوّهة بندقيته الليزريّة ، نحو صدر (جلايز) ، الذى عقد حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ أية حماقة هذه يا (جوان) ؟.. إن نجاح الغزو يعنى تلك الثروة والسطوة .

صاح (جوان) :

ــ هُراء أيها المخلوق الفضائى.. إنه يعنى أن أتحوّل إلى

مواطن من الدرجة الثانية فى كوكبى ، الذى سيحكمه غرباء ، يضعون أنفسهم دومًا فى الدرجة الأولى .

قال (نور) فى هدوء :

ــ هذا صحيح .

جاء جواب (جلايز) على هيئة ضحكة ساخرة ، دوّت بصوته الرنّان كصدى لآلاف الضحكات ، مما أثار حنق الجميع ، وهياج (جوان) ، الذى صرخ فى ثورة :

ــ اضحك أيها المخلوق الفضائىّ.. اضحك... إنها ضحكتك الأخيرة

وأطلق أشعته الليزرية على صدر (جلايز) ..

شيطان أمطار الموت ..

* * *




جاء جواب (جلايز) على هيئة ضحكة ساخرة ، دوّت بصوته الرنّان كصدى لآلاف الضحكات .

١٠ ـ الرجل الخارق ..

لم يتوقّف رنين ضحكة (جلايز) الساخرة ، وهو يدوّى فى أرجاء القاعة ، حتى بعد أن أصابت أشعة الليزر صدره ..

كل ما فعلته دفقة الأشعة القاتلة هو أن مزّقت صدر ردائه وأذابته ، ثم ارتدت عن صدره فى قوة ، كأنما ترتدّ عن حاجز من أصلب المعادن المعروفة فى الأرض ، فتراجع الجميع فى ذهول ، وغمغم (نور) :

ـ يا إلهى !!..

أمّا (جلايز) ، فقد ازدادت السخرية فى ضحكته الرّنانة ، قبل أن يقول :

ـ يا لك من غبى يا (جوان) !! أتريد أن تقتلنى بأشعة ليزر تافهة ؟

وفى حركة سريعة ، انتزع من جيبه قنينة ، تحوى ذلك السائل الذهبى القاتل ، ورفعها أمام وجهه ، وهو يستطرد ساخرًا :

ـ هل تعلمون ما هذه المادة ؟.. إنها أمطار الموت الذهبيّة ، التى تثير رعبكم وحيرتكم منذ خمسة أيام .

وفى هدوء نزع سدادة القنينة ، وجرع محتوياتها كلها ، فشهقت (سلوى) فى رعب ، واتسعت عيون الجميع ذعراً وذهولاً ، وسقطت بندقية الليزر من يد (جوان) ، فى حين مسح (جلايز) شفتيه بظهر كفه ، قبل أن يبتسم ، قائلاً فى سخرية :

— إنها مشروبنا الأساسى أيها السادة .. تماماً كالماء بالنسبة لكم .

هتف (نور) :

— إذن فتلك السحب الزرقاء ......

قاطعه (جلايز) فى هدوء :

— نعم أيها الرائد .. إنها السحب العادية فى كوكبى ، وأمطار الموت لكم هى أمطار الحياة لنا .. إن بحار كوكبى كلها من ذلك السائل الذهبى .

عقد (نور) حاجبيه فى حيرة ، فى حين استطرد (جلايز) فى زهو :

— كل ما كنت أحتاج إليه هو إحضار كمية من مائنا الذهبى إلى هنا ، وتبخيرها بوسائلى الخاصة ، ثم أتركها لتعمل وحدها ، مع توجيه مسارها عن طريق مجسات استاتيكية صغيرة ، لن يمكنكم التوصل إليها قبل سنوات وسنوات .

وأطلق ضحكته الرنانة مرة أخرى ، قبل أن يردف :

— هل تذكرون ذلك الغبى ، الذى قادكم إلى هنا ؟.. إنه لم يكن يعلم أننى قد زرعت فى رأسه كبسولة خاصة ، تحوى ماءنا الذهبى ، وجهاز إرسال صغير ، ولم يكد يتفوه بما يمكنه أن يوقع بى ، حتى فجرت الكبسولة ، وحطمت رأسه ، وكذلك أقتلكم بسحب كوكبى الزرقاء ، التى تصاعدت مع تبخر الماء الذهبى فى الكبسولة ..

غمغم (جوان) فى رعب :

— زرعتها فى رأسه ؟!.. دون أن يدرى ؟

تألقت عينا (جلايز) ببريقهما الذهبى فى شراسة ، وهو يقول :

— اطمئن يا (جوان) .. إن رأسك لا يحمل كبسولة مثلها .. لقد أعددت لك ولرجالك مصيراً أفضل .

وفى هدوء ضغط أحد الأزرار المتراصة فى مسند مقعده ، المصنوع من الذهب الخالص ، فانفتحت الأرضية المعدنية الشفافة تحت أقدام (جوان) ورجاله ، وابتلعت الحمم صرخاتهم وأجسادهم بلا رحمة ، حينما هوت أجسامهم لتغوص فيها ، وصرخت (سلوى) فى رعب ، وارتجف جسد (محمود) ، وهتف (رمزى) :

— يا للبشاعة !!

أما (نور) فقد صرخ فى غضب :

— أيها الحقير .. هل تتلذذ بالقتل ؟

هزّ (جلايز) كتفيه فى لامبالاة، وألقى نظرة باردة على الأرضية المعدنية الشفّافة ، التى عادت تغلق ، بعد أن هوى (جوان) ورجاله ، وقال فى هدوء :

— لا وقت للعبث أيها الرائد .. لقد فقد هؤلاء قائدتهم ، وتحولوا إلى عبء يعوق الغزو ، وأصبح من الضرورى أن أتخلص منهم .

صاح (نور) فى حنق :

— هل تظن أن ذلك الغزو سينجح ؟

أجابه فى سخرية :

— ومن سيعوق نجاحه أيها الرائد ؟.. أنت ؟!

اعتدل (نور) ، وعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يقول فى صرامة :

— بل العالم أجمع أيها الوغد .

وانعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يستطرد فى حزم :

— هل تظن نفسك ذكيًا يا (جلايز) ؟.. لو أنك أفضل

رجال مخابرات كوكبك ، فأنت تساوى صفرا بين رجال مخابرات كوكب الأرض .

ثم أشار إلى ساعته ، وهو يردف فى حزم ساخر :

— هل ترى هذه الساعة البسيطة ، ذات التصميم الأنيق ؟.. إنها تحوى بين ما تحويه جهاز إرسال صغير ، نقل إلى مخابرات دولتى كل لفظ دار هنا ، وسينقلونه بدورهم إلى الأمم المتحدة ، حتى أنه لن تمضى ساعة واحدة ، إلا ويكون العالم كله قد عرف حقيقة أمرك ، ولن ينجح غزوكم أبدا .

اتسعت عينا (جلايز) ، وهو يهتف :

— مستحيل !.. إنك تخادع !!

ابتسم (نور) فى سخرية ، وهو يقول :

— هل تراهن على ذلك ؟

انقلبت ملامح (جلايز) ، وتحوّلت إلى كتلة من الغضب ، وهو يقول :

— لن يعوق ذلك الغزو .. إنه سيتم ، ولكن بمزيد من الضحايا .

أطلق (نور) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

— هل تراهن على ذلك أيضًا ؟

ثم استطرد فى حزم :

— هل تظن أن خدعة ارتداد أشعة الليزر عن صدرك قد

خدعتني ؟.. مطلقا أيها الوغد .. لو أن أجسادكم خارقة ، كما حاولت أن توهمنا .. ما حاجتم إلى كل هذه الخدعة ، تمهيدا لغزوكم لنا .. قد تكون أجسادكم قابلة لاحتمال ذلك الحامض الأمينى القوى .. ربما لأنها قلوية مثلا .. ولكنها تتحطم .. وتنهار ، مثلها مثل أجساد كل المخلوقات فى الكون .

هتف (جلايز) :

— لقد رأيت بنفسك أشعة الليزر وهى ....

قاطعه (نور) فى صرامة :

— وهى ترتد عن الدرع المعدنى الشفاف ، الذى ترتديه .. هل هذا ما تقصده ؟..

خيل للجميع أن وجه (جلايز) الذهبى قد ازداد قتامة ، وهو يحدق فى وجه (نور) ، قبل أن يصرخ فى ثورة :

— مستحيل !! إنك شيطان !! شيطان !!

ثم أطلق عبارة عجيبة ، بلغة لم يفهمها أحدهم على الإطلاق ، واندفعت يده نحو الأزرار المتراصة على مسند مقعده .

كان ينوى إرسالهم خلف (جوان) ورجاله ، إلى أعماق حمم البركان الخامد ..

* * *

١١ — جحيم الكواكب ..

كان اختبارًا لسرعة ردود الأفعال ..

كانت أصابع (جلايز) تتجه نحو أزرار الموت فى سرعة ، وكان (نور) يعلم ضرورة التحرك فى سرعة فائقة ، حتى لا يلقى حتفه مع رفاقه ، وسط الحمم الملتهبة ..

ولم يكن يعلم المدى الذى ينبغى الابتعاد عنه ، اتقاء لما سيفعله (جلايز) ..

لذا فقد كانت أمامه وسيلة واحدة ..

واحدة فقط ..

وبأقصى ما يملك من سرعة ، ومستعينا بكل إصراره ، وصلابته ، ومرونته ، ورغبته فى البقاء ، وخوفه على مصير زوجته ورفيقيه ، اندفع (نور) نحو (جلايز) ..

وقبل أن تمس أنامل (جلايز) أزرار مقعده بجزء من مليون من الثانية ، انقض عليه (نور) ، وكال له لكمة أودعها كل ما يعتمل فى أعماقه من مشاعر سابقة ..

وسقط (جلايز) من فوق عرشه الذهبى ، وقفز فوقه (نور) ، واشتبك الاثنان فى قتال عنيف ..

ولكن (جلايز) كان حقًّا رجلًا خارقًا ..

لقد حمل (نور) في قوّة ، وألقاه بعيدًا عنه في غضب ، ثم انقضّ عليه بدوره ..

وفي إصرار وحزم ، انطلق (محمود) و (رمزي) و (سلوى) لمعاونة (نور) ، ولكن لكمة من قبضة (جلايز) ألقت (محمود) فوق العرش الذهبي ، وأخرى أطاحت بـ (رمزي) حتى آخر القاعة ، وثالثة كادت تهشم رأس (سلوى) ..

ثم استدار (جلايز) يواجه (نور) ، وهو يقول في غضب :

— سأقتلك أيها الرائد .. سأقتلك ولو كان هذا آخر ما أفعله في حياتي .

ضمّ (نور) قبضتيه ، وواجهه في شجاعة ، وهو يقول :

— حاول يا (جلايز) ، وأعدك بأن أبذل أقصى جهدي ؛ لأحول بينك وبين هذا .

تألقت عينا (جلايز) ببريقهما الذهبي ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة شرسة ، وهو يقول

— هل تراهن على ذلك أيها الرائد ؟

ثم اندفع نحوه فجأة ، ولكمه في معدته ، وتلقى (نور) اللكمة بألم شديد ، ووجد جسده يندفع إلى الخلف . إلا أنه تماسك ، وعاد يلوّح بقبضته في وجه (جلايز) ، وهو يقول :

— نعم .. أراهن أيها الحقير .

اندفع (جلايز) نحوه مرّة أخرى ، ودفع قبضته إلى فكه ، وهو يهتف :

— قلت لك إنه لا وجود لتلك الكلمة في قاموس كوكبي أيها الرائد .

تفادى (نور) اللكمة في مهارة ، ولكم (جلايز) في معدته ، وهو يقول :

— ولكنها توجد في قاموس كوكبي الحرّ أيها الحقير .. كوكبي الذي سيظلّ حرًّا على الرغم من أنف سادتك .

أمسك (جلايز) ذراعي (نور) فجأة ، في قوّة مذهلة ، وهو يقول في صرامة وغضب :

— لولا عنادك لأسعدني أن أراك تركع تحت أقدام سادتي ، على أرض كوكبك أيها الرائد .

ثم حمله في قوّة ، وألقاه في عنف ، فارتطم (نور) بالمقعد الذهبي ، ووجد نفسه يجلس فوقه ، ورأى (جلايز) ينتزع



ثم حمله في قوة ، وألقاه في عنف ، فارتطم (نور) بالمقعد الذهبي ، ووجد نفسه يجلس فوقه .

من ردائه قنينة أخرى ، تحوى نفس السائل الذهبي القاتل ، ويلقى سدادتها بعيدا ، وهو يهتف في وحشية :

ــ الوداع أيها الرائد .. سيمتعني مشهد أمطار الموت ، وهي تلتهم جسدك البض .. وداعا .

وتألّقت قنينة الموت الذهبي في قبضته ، وأطلقت (سلوى) صرخة رعب هائلة ..

* * *

كان الدكتور (حجازى) هو الذى اقتحم حجرة الدكتور (عبد الله) هذه المرّة ، وهو يهتف في انفعال :

ــ وجدتُها .. وجدتُها .

قفز الدكتور (عبد الله) من مقعده ، وهو يهتف :

ــ ماذا حدث ؟! .. هل تقمّصتك روح (أرشميدس) ؟

هتف الدكتور (حجازى) في سعادة وحماس :

ــ بل توصّلت إلى وسيلة الدفاع يا دكتور (عبد الله) .. لقد حطّمت أسطورة أمطار الموت ، ووجدت السلاح الذى سيدرأ عن العالم خطرها ..

هتف الدكتور (عبد الله) في لهفة :

ــ ما هو ؟ .. ما هو يا دكتور (حجازى) ؟

أطلق الدكتور (حجازى) ضحكة تموج بالسعادة ، قبل أن يصيح فى ظفر ومرح :

ـ الماء يا دكتور (عبد الله) .. الماء .

اتسعت عينا الدكتور (عبد الله) فى ذهول ، وهو يغمغم :

ـ الماء ؟!

هتف الدكتور (حجازى) :

ـ نعم يا دكتور (عبد الله) .. الماء .. سائل الحياة هو الذى سيدرأ عنّا خطر أمطار الموت .

غمغم الدكتور (عبد الله) فى حَيْرة :

ـ كيف ؟!.. ألم تقل إنها أحماض أمينية ؟!.. إن كل ما تعلّمناه يقول إن القلويّات وحدها يمكنها أن تعادل الأحماض و ..

قاطعه الدكتور (حجازى) فى مرح :

ـ وماذا عمّا تعلّمناه عن الخواص الفيزيائية للحديد والبرونز والذهب ، واستحالة وجودها فى صورة شفّافة ؟!.. ألم تفهم بعد يا دكتور (عبد الله) .. أننا نواجه مواد جديدة ، من خارج كوكب الأرض ، لا تنطبق عليها مقاييس كوكبنا أبدًا ؟

غمغم الدكتور (عبد الله) فى ذهول :

ـ من خارج كوكب الأرض ؟!

جذبه الدكتور (حجازى) من ذراعه إلى معمله ، وهو يهتف :

ـ بالطبع يا صديقى ، هذا هو التفسير المنطقى الوحيد ، الذى يجعل كل هذه الأمور مفهومة .

لم يفه الدكتور (عبد الله) بحرف واحد ، من شدة ذهوله وحَيْرته ، حتى وصل إلى معمل الدكتور (حجازى) ، الذى أشار إلى قليل من السائل الذهبىّ القاتل، استقرّ فوق جزء من القنينة المكسورة ، وهو يقول فى حماس :

ـ انظر .. هذا هو سائل الموت .

والتقط قطعة نقدية ، غمسها فى السائل ، الذى التهمها فى شراهة ، فاستطرد هو :

ـ إنه سائل شره ، لا يُبقى ولا يَذر ، طالما أبعدته عن الماء ، أما لو أضفته إليه ..

بتر عبارته ليضيف قطرات من الماء إلى السائل الذهبىّ، الذى تحوّل فور ملامسة المياه له إلى سائل فضىّ برّاق ، فأردف الدكتور (حجازى) فى مرح :

— انظر إليه الآن .. لقد تحوّل بمعادلة كيميائية غير مفهومة لنا إلى مادّة قلوية ضعيفة ، لا تؤثر فى الأجساد والمعادن أدنى تأثير .

وفى هدوء غمس إصبعه فى السائل الفضىّ ، ورفعه إلى الدكتور (عبد الله) ، وهو يهتف :

— لقد تحطّمت أسطورة أمطار الموت بأبسط مادة فى الوجود يا صديقى .. لقد انتهى الخطر تمامًا ..

* * *

بالنسبة لـ (نور) ورفاقه ، كان الخطر فى ذروته فى تلك اللحظة ..

كان (رمزى) فاقد الوعى ، وكذلك (محمود) ، و (سلوى) تقاوم غيبوبة قوية ، أحاطت برأسها بلا رحمة ، ورُعْبًا هائلًا ملأ نفسها ، وهى تتطلّع إلى (جلايز) ، الذى استعدّ لإلقاء سائل الموت الذهبىّ فى وجه (نور) ، الذى عاقه مسندى المقعد الذهبىّ عن القفز يمينًا أو يسارًا .

وفى لمحة خاطفة ، رأى (نور) الأزرار المثبتة فى مسند المقعد ، وفهم سرّها على الفور ..

لقد كانت الأزرار مرتّبة ، بحيث يتحكّم كل منها فى جزء من

أجزاء أرضية القاعة ، وكانت متراصّة فوق رسم تخطيطى للقاعة نفسها ..

وكان على (نور) أن يختار ، ما بين كراهيته للدمار ، وحتمية لجوئه إليه ، لإنقاذ حياته وحياة رفاقه ..

ولقد اختار (نور) ..

اختار حياة فريقه ..

وضغط أحد أزرار المقعد ..

كل هذا تمّ فى جزء من الثانية ..

الحيرة والقرار والتنفيذ ..

وقبل أن يلقى (جلايز) سائل الموت فى وجه (نور) ، فوجئ بأرض القاعة تُفتح أسفل قدميه ، فجحظت عيناه فى رُعْب وذهول ، وصرخ :

— مستحيل !!

وهوى جسده الذهبىّ ، لتبتلعه الحمم ، ويلتهمه جحيم خالص ..

جحيم كوكب الأرض ، الذى أتى يمهّد طريق غزوه ..

وابتلعت النيران (سيّد العصر) ..

وابتلعت الحمم خطر أمطار الموت .. إلى الأبد ..

* * *

١٢ ـ الختـام ..

كانت مفاجأة شديدة لـ (رمزى) ، حينما استعاد وعيه ، فوجد نفسه يرقد فى حجرة مكتب حاكم الجزيرة ، ويحيط به رفاقه ، الذين ابتسموا فى وجهه ، وهم يهتفون فى مرح :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا (رمزى) .

اعتدل وهو يتساءل فى دهشة وحيرة :

ـ ماذا حدث ؟!.. كيف عدنا إلى هنا ؟

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ـ لقد انتهى كل شىء يا (رمزى) .

هتف فى سعادة :

ـ هل انتصرنا ؟

أطرق (نور) برأسه ، وهو يقول فى حزن :

ـ نعم يا (رمزى) .. لقد أنقذنا كوكبنا .

أثارت نبرة الحزن فى كلمات (نور) قلقه ، فسأله فى خفوت :

ـ ماذا حدث لـ (جلايز) ؟

أشاح (نور) بوجهه ، وهو يقول :

ـ لقد ابتلعته الحمم ، بعد أن صدق أن ساعتى تحمل جهاز إرسال صغير .

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يغمغم :

ـ كنت أتوقع ذلك .. كنت أعلم أنك تخدعه .

ران الصمت لحظة ، ثم قال حاكم الجزيرة فى مرح :

ـ انتظر حتى يعلم العالم بانتصاركم .. أراهن أنهم سيقيمون الاحتفالات فى كل مكان ، وسينال كل منكم وسامًا و....

قاطعه (رمزى) فى اهتمام :

ـ ماذا تقول ؟.. هل تعنى أن خبر انتصارنا لم يُعلن بعد ؟

أجابه حاكم الجزيرة :

ـ ليس بعد .. لقد كنا ننتظر حتى ....

قاطعه (رمزى) ، وهو يقفز من مقعده ، هاتفًا :

ـ لا عليك .. هل يمكننى استخدام هاتفك ؟

أجابه الحاكم فى دهشة :

ـ بالطبع .

أسرع (رمزى) يضغط أزرار التليفيدو ، فى حين سألته (سلوى) فى دهشة :

ـ من الذى ترغب فى محادثته بكل هذه اللهفة ؟

ضحك (نور) وهو يقول :

ـ أظن أننى أعلم مَنْ .

ابتسم (رمزى) فى مرح ، وتطلع إلى وجه (مشيرة) . الذى بدا على شاشة التليفيديو ، وهو يهتف :

ــ مرحبًا يا زوجتى العزيزة .

بدا وجه (مشيرة) مفعما باللهفة والفرح ، وهى تهتف :

ــ (رمزى) ؟!.. كيف حالك ؟!.. أين أنت ؟!

ضحك وهو يقول :

ــ اطمئنى يا عزيزتى .. إننى فى خير حال ، وسأبذل أقصى جهدى لنتناول العشاء معًا فى (القاهرة) .

فتحت فمها لتلقى عليه سؤالًا ما ، إلّا أنه قاطعها فى مرح :

ــ لا تنطقى بكلمة واحدة يا (مشيرة) ، واستمعى إلىّ إننى أحمل لك سبقًا صحفيًا سيقفز بك إلى القمة .

وملأ عينيه بوجوه رفاقه ، وهو يردف فى فخر :

ــ لقد نجا العالم يا (مشيرة) .. لقد انتهى (سيّد العصر) .

واتسعت ابتسامته لتغمر وجهه كله ، وهو يستطرد فى سعادة :

ــ لقد تلاشى خطر أمطار الموت يا عزيزتى .. إلى الأبد .

تنهّد (نور) ، وهو يقول فى ارتياح :

ــ نعم .. إلى الأبد ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع ٣٢١٥